الفصل الثالث
الوسائل والأساليب في منهج القرضاوي الدعوي

توطئة :

أولاً : تعريف الأسلوب :

١ ـ في اللغة : الأسلوب: هو الطريق ، وعنق الأسد ، والشموخ في الأنف[١].

وهو : كل طريق ممتد .

وهو : الطريق ، والوجه ، والمذهب[٢] .

وهو: الفن ؛ يقال : أخذ فلان في أساليب من القول ، أي أفانين منه [٣].

٢ ـ في الاصطلاح : هناك تعريفات عديدة للأسلوب في الاصطلاح ، منها:

– الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار مفرداته[٤].

– طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير[٥] .

٣ ـ الاسلوب الدعوي : هو فن الدعوة [٦].

---

(١) انظر : القاموس المحيط الفيروزأبادي .
(٢) انظر : تهذيب اللغة الأزهري ج ١٢ ص ٤٣٥ ط الدار المصرية للتأليف بدون تاريخ .
(٣) انظر : لسان العرب ابن منظور .
(٤) انظر : خصائص القرآن د: فهد الرديمي .
(٥) انظر : الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية أحمد الشايب.
(٦) انظر : مناهج الدعوة وأساليبها د: علي جريشة .

وهو : الطريقة أو المذهب الذي يلجأ إليه الداعي إلى الله ، ليحقق بذلك أهداف الدعوة[١] .

ومن هذا كله يمكن القول بأن أسلوب الدعوة : هو الطريقة الناجحة المؤثرة المناسبة لحال المدعو .

ثانياً : تعريف الوسيلة

١ - في اللغة : للوسيلة في اللغة معان متعددة منها :

الوسيلة : القربة، وما يتقرب به إلى الغير ؛ والجمع : وُسُل ووسائل[٢] .

٢ - في الاصطلاح: وللوسيلة في الاصطلاح تعريفات عديدة أيضا، منها:

قال القرطبي: القربة التي ينبغي أن يطلب بها[٣].

وقال ابن كثير : ما يتوصل به إلى تحصيل المقصود[٤].

وقال الرازي : التي يتوصل بها إلى المقصود[٥].

وقال ابن الأثير : ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به[٦].

وقال الطاهر بن عاشور : أريد بها ما يبلغ به إلى الله ، وما يقرب العبد من الله بالعمل بأوامره ونواهيه[٧].

وقال علي عبد الحليم محمود : هي العمل الذي يحقق أهداف الدعوة إلى الله[٨] .

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله د: علي عبد الحليم محمود ج١ ص ٢١٥ ط الثانية دار الوفاء ١٤١١ هـ.

(٢) انظر : لسان العرب ج١١ ص ٧٢٥ .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن القرطبي ط دار الكتب ج٦ ص ١٥٩ ١٣٨٧ هـ .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ابن كثير ج٢ ص٤٨ ط دار القلم بيروت بدون تاريخ .

(٥) انظر : التفسير الكبير الفخر الرازي ج١١ ص١٧٣ دار الكتب العلمية بيروت ط٤ ١٤٠٧ هـ .

(٦) انظر : النهاية في غريب الحديث ابن الأثير ج٥ ص ١٨٥ ط المكتبة العلمية بدون تاريخ .

(٧) انظر : التحرير والتنوير ابن عاشور ج٤ ص١٨٧ مكتبة ابن تيميه بدون تاريخ .

(٨) انظر : فقه الدعوة ج١ ص٢٣٤ .

وقال البيانوني : ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية[1] .

أما إذا قيدنا الوسيلة بالدعوية فيمكن القول بأن الوسيلة الدعوية هي : الطريقة المقيدة بالشرع، الموصلة إلى الله تعالى .

وإنما كانت مقيدة بالشرع لتخرج الوسيلة الغير مقيدة بالشرع ، مهما كانت النتيجة ؛ لأن الغاية لا تبرر الوسيلة .

ثالثاً : العلاقة بين الوسيلة والأسلوب :

كثيراً ما تتداخل الوسائل مع الأساليب لدرجة أنه يصعب التفريق بينهم أحياناً، وكثيراً ما يذكر المؤلفون بعض الوسائل ضمن الأساليب، ويذكر آخرون بعض الأساليب ضمن الوسائل ، فبعضهم يذكر الخطابة مثلاً على أنها وسيلة ، بينما يذكرها آخرون على أنها أسلوب ، وهذا جائز .

ويمكن القول بأن الوسيلة أعم من الأسلوب ، والأسلوب أخص منها، ولا مانع أن يكون الأسلوب وسيلة أو العكس ، ولهذا سوف أتناول وسائل الشيخ القرضاوي وأساليبه الدعوية دون فصل الوسائل عن الأساليب .

* * *

(١) انظر : المدخل إلى علم الدعوة ص٤٩ .

تمهيد

الدعوة إلى الله تعالى «فن»، والداعية الفطن «يتفنن» في الوصول إلى قلوب الناس، لكن وسائله وأساليبه ينبغي ألا تخالف نصاً ثابتاً، ولا تعارض حكماً شرعياً، وليس معنى ذلك أن الوسائل والأساليب توقيفية؛ لا بل كل وسيلة لا تتعارض مع النصوص الشرعية مقبولة شرعاً وسائغة عقلاً.

ولقد استخدم الدعاة على مر العصور والدهور أساليب ووسائل ما عرفها السابقون، وحسبهم ما روي عن رسول الله ﷺ: «الحكمة ضالة المؤمن فأنى وجدها فهو أحق الناس بها»(١).

بل قد يجد من الوسائل والأساليب ما استحدثه الغرب الكافر، ولا مانع من استخدام ذلك، فقد تعلم أبو هريرة رضي الله عنه من شيطان في صورة آدمي، وقال له النبي ﷺ في الحديث الصحيح «صدقك وهو كذوب»(١).

والداعية الحريص على هداية الناس حري به ألا يدع وسيلة إلا واعتلى منبرها، مبصراً أهله، ومنذراً قومه، داعياً إلى ربه على هدى وبصيرة.

والشيخ لا يكاد يترك وسيله من وسائل الدعوة إلا قرع بابها، ولا أسلوباً من أساليبها إلا ولجه، من القديم والحديث على السواء، اللهم إلا اللغة الأجنبية فإنه لم يتح له ذلك، ولا يرجع هذا إلى تقصير منه، بل إلى عدم توجيه له منذ الصغر، يقول الشيخ في مذكراته: لو وجدت من يعلمني لغة أجنبية لخطوت فيها خطوات سريعة، فقد كانت قدرتي اللغوية فائقة، ولكن لم يكن في قريتنا ما يعين على ذلك، وما يدفع إليه(٣).

وسنقسم الأساليب التي عرف بها الشيخ إلى قسمين:

القسم الأول: الوسائل والأساليب المقروءة.

القسم الثاني: الوسائل والأساليب المسموعة.

---

(١) رواه الترمذي في العلم (٢٦٨٧) عن أبي هريرة وقال: لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وابن ماجه في الزهد (٤١٦٩)، وذكره الألباني في ضعيف الجامع (٤٣٠١).

(٢) البخاري في الوكالة رقم (٢٣١١) عن أبي هريرة.

(٣) انظر: مذكرات الشيخ ج١ ص ٢١٠.

المبحث الأول
الوسائل والأساليب المقروءة

١ ـ الفتاوى :

التعريف :

الفتوى لغة : الجواب في الحادثة .

وشرعاً : بيان الحكم الشرعي في قضية من القضايا جواباً عن سؤال سائل، معين كان أو مبهم ، فرد أو جماعة .

وقد عرفت كتب الفتاوى في تراثنا الفقهي منذ القدم ، واشتهر في كل مذهب من المذاهب كتب للفتاوى ، كالفتاوى الهندية والبزارية في المذهب الحنفي ، وفتاوى ابن الصلاح والنووي في المذهب الشافعي ، وفتاوى ابن رشد والشاطبي في المذهب المالكي.

وفي العصر الحديث ظهر عدد من كتب الفتاوى في مختلف البلدان ، ومنها فتاوى العلامة رشيد رضا ، والشيخ شلتوت ، وتوالت في الآونة الأخيرة كتب الفتاوى ، مثل فتاوى الشيخ ابن باز ، والشيخ الشعراوي ، والشيخ ابن عثيمين، والشيخ كشك ... وغيرها .

ولعل أشهر كتب الفتاوى في القديم والحديث فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، والتي بلغت (٣٥) خمسة وثلاثين مجلداً .

مكانة الفتوى في الإسلام :

للفتوى في الإسلام منزلة عظيمة ، ومكانة مهمة ، وخطورة جسيمة ، ذلك أنها توقيع عن الله رب العالمين ، وإعلام منه إلى الناس أجمعين ، ولهذا كان التشديد من شأنها ما روي عنه ﷺ : « أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار »(١).

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل ، والدارمي مرسلاً عن عبد الله بن جعفر ، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (١٨١٤) .

ومن أروع ما جاء عن الصديق قوله : أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن أنا قلت في كتاب الله برأيي ؟

وهذا إمام دار الهجرة مالك بن أنس يروى أنه قال : وددت أني ضربت عن كل فتوى كذا سوطاً ولم أكن أفتيت بشيء .

وقد أبكت هذه الجرأة ربيعة بن عبد الرحمن وقال : استفتي من لا علم له، وظهر في الإسلام أمر عظيم . ثم قال ربيعة – رحمه الله – ولبعض من يفتي ها هنا أحق بالسجن من السراق[1] .

ويعد أول من قام بهذا المنصب الشريف – كما قال ابن القيم – سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين عبد الله ورسوله وأمينه على وحيه ﷺ[2].

كما اشتهر عدد من الصحابة بالفتوى ذكر ابن القيم: أنهم مئة ونيف وثلاثون نفساً ما بين رجل وامرأة منهم المكثر ومنهم المقل[3].

شروط المفتي عند القرضاوي :

أما صفات المفتي فإن الشيخ القرضاوي فصل فيها، ونستطيع إجمالها في الآتي:

أولاً : من حيث الثقافة :

١ – أن يكون ذا صلة وثيقة بالكتاب والسنة .

٢ – أن يكون ذا ملكة في فهم لغة العرب وتذوقها .

٣ – أن يتمرس بأقوال الفقهاء ليعرف منها مدارك الأحكام ، وطرائق الاستنباط ، ويعرف منها كذلك مواضع الإجماع ومواقف الخلاف .

٤ – أن يتمرس بعلم أحوال الفقه ، ومعرفة القياس والعلة ، وذلك بمعايشة الفقهاء في كتبهم وأقوالهم .

٥ – أن يتعرف على واقع الناس ، حتى يربط فتواه بحياة الناس[4].

---

(١) انظر : جامع بيان العلم وفضله ابن عبد البر ج٢ ص ٢٠١ .

(٢، ٣) انظر : أعلام الموقعين ابن القيم ج١ ص ٣٨ ط مكتبة ابن تيمية.

(٤) انظر : الفتوى بين الانضباط والتسيب ص ٢٧ وما بعدها .

ثانياً : من الناحية الأخلاقية :

١ – أن يطابق عمله علمه .

٢ – أن يزاوج بين العمل والخشية .

٣ – أن يزين عمله بالتقوى ومكارم الأخلاق[١] .

الشيخ والإفتاء :

ولما كانت الفتوى وسيلة من وسائل الدعوة في القديم والحديث ، فقد اعتلى الشيخ يوسف القرضاوي منبر هذه الوسيلة في وقت مبكر ، ويؤكد الشيخ ذلك قائلاً : فقد كان مما كتبه الله تعالى لي أن أشتغل بإفتاء الناس منذ عهد مبكر ، فقد كنت أؤم الناس وأخطبهم وأدرسهم وأنا طالب في القسم الابتدائي «الإعدادي الآن» من الأزهر الشريف ومن خطب الناس أو درسهم فلا بد أن يسألوه[٢].

وازداد إفتاء الشيخ يوماً بعد يوم نظراً للقائه بالجماهير وازدياد شعبيته ، وقد كان من عادة الشيخ ـ وهي عادة طيبة ليت كل الدعاة والخطباء يقدمون عليها ـ كان من عادته ـ حفظه الله ـ أن يعقد بعد صلاة الجمعة ندوة للرد على أسئلة المصلين فيما يتعلق بأمور دينهم[٣].

وأخذ الإفتاء لدى الشيخ نوعاً آخر ، حيث بدأ الشيخ في كتابة بعض الفتاوى في عدد من المجلات الإسلامية مثل «منبر الإسلام» التي تصدرها وزارة الأوقاف المصرية، و«نور الإسلام» التي يصدرها علماء الوعظ والإرشاد بالأزهر[٤].

ولما قدم الشيخ إلى قطر أخذت الفتوى لوناً جديداً ، فظهر للشيخ برنامجان ليرد الشيخ فيهما على أسئلة الجمهور ، البرنامج الأول إذاعي وهو

---

(١) انظر : الفتوى بين الانضباط والتسيب ص ٣٥ ـ ٤٠ بتصرف واختصار .

(٢) انظر : فتاوى معاصرة ج١ ص ٥ .

(٣) انظر : خطب الشيخ القرضاوي ج١ ص ٧ .

(٤) انظر : فتاوى معاصرة ج١ ص ٨ .

بعنوان «نور وهداية» والثاني تلفزيوني وهو بعنوان «هدى الإسلام» والذي لا يزال مستمراً حتى الآن [1].

ولما كثرت الرسائل والأسئلة ، وتوالت الخطابات والأجوبة ، أشار بعض المخلصين على الشيخ بجمع هذه الفتاوى ، فاختار الشيخ منها ما يصلح للجميع أو ما يتعلق بالواقع والمجتمع ، وأخرجه للناس كتابة ، بعد أن حذف المكرر ، وهذب العبارات ، وحسَّن الفتاوى ببعض من الإضافات ، وقد ظهر للشيخ إلى وقتنا هذا ثلاثة أجزاء بعنوان «من هدي الإسلام» فتاوى معاصرة[2] .

منهج الشيخ في الإفتاء :

وقد وضع الشيخ لنفسه منهجاً اجتهد أن يسير عليه، وكان من أهم قواعده في الإفتاء:

أولاً : التحرر من العصبية المذهبية والتقليد الأعمى: والذي دعا الشيخ إلى ذلك هو ذم المقلدين والمتعصبين ، ويرى الشيخ أن المفتي لا يتطلب منه أن يكون بالغاً إلى درجة الاجتهاد المطلق ولكن حسبه عده أمور :

١ ـ ألا يلتزم رأياً في قضية بدون دليل قوي ، سالم من معارض معتبر .

٢ ـ أن يكون قادراً على الترجيح في الأقوال المختلفة والآراء المتعارضة بالموازنة بين أدلتها .

٣ ـ أن يكون أهلاً للاجتهاد الجزئي .

ثانياً : تغليب روح التيسير والتخفيف على التشديد والتعسير : ويرجع ذلك لسببين:

١ ـ أن الشريعة مبنية على التيسير ورفع الحرج .

٢ ـ طبيعة العصر الذي نعيش فيه ، حيث أصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر لطغيان الحياة المادية الجارفة.

---

(١) انظر : فتاوى معاصرة ج ١ ص ٩ .

(٢) انظر : الفتوى بين الانضباط والتسيب ص ٣ .

ثالثاً : مخاطبة الناس بلغة العصر مع تجنب المصطلحات الوعرة، والألفاظ الغريبة.

رابعاً : الإعراض عما لا ينفع الناس ، كالمفاضلة بين الأصحاب ، تأويل الرؤى والأحلام.

خامساً : التزام روح الوسط بين المتحللين والمتزمتين ، والاعتدال بين التفريط والإفراط .

سادساً : إعطاء الفتوى حقها من الشرح والإيضاح : فالشيخ لا يقتنع في الفتوى بالجواب بالمقتضب ، نعم أو لا ، أو حرام أو حلال ، فهذا إن جاز مع بعض الأشخاص لا يجوز مع مجموع الناس [١].

مزالق الفتوى كما يراها القرضاوي :

وقد حذر الشيخ من مزالق الفتوى ، وخصوصاً في الوقت الحاضر ، ويرجع السبب في ذلك إلى سرعة انتشار الفتوى بوساطة وسائل الإعلام من طبع ونشر وإذاعة وتلفزة وإنترنت ، وقد جمع الشيخ هذه المزالق في أمور ستة :

* الجهل بالنصوص أو الغفلة عنها .
* سوء التأويل .
* عدم فهم الواقع على حقيقته .
* الخضوع للأهواء .
* الخضوع للواقع المنحرف .
* تقليد الفكر الغربي[٢] .

وقد بين الشيخ القرضاوي المنظار الذي يحكم رؤيته الوسطية في الفتوى فصارت مقبولة ، فقال عن هذا المنظار : في فتواي أحمد الله أني أنظر إلى الإسلام بعين وعلى العصر بعين أخرى ، إلى الإسلام وأصوله وتراثه ، والعصر وتياراته ومشكلاته ، وفي نظري إلى الإسلام لا يهمني أن أرضي أطرافاً معينة ،

---

(١) انظر : فتاوى معاصرة ج ١ ص ١٠ ـ ٣٦ بتصرف ، وانظر الفتوى بين الانضباط والتسيب ص ١٠٠ ـ ١٣٥ بتصرف .

(٢) للتفصيل في هذه المزالق انظر الفتوى بين الانضباط والتسيب ص ٥٩ ـ ٩٩ .

كما لا يهمني أن أرضي أصحاب السلطان ، كما لا يهمني أن أرضي العوام ، بعض الناس لا ترضي السلطات لكنها تحاول أن ترضي الجماهير ، وهذا أخطر ، لأن الذي يتبع أهواء السلطان سرعان ما يكتشف ويتبين زيفه ، وإنما الذي يتبع أهواء العامة يصعب أن يكشف إلا عند الخاصة أو ذوي البصيرة [1].

وقد صدر للشيخ ثلاثة مجلدات ، تمتاز بالفهرسة والتقسيم ، وهي في الغالب مقسمة إلى : القرآن، والحديث، وعقائد، وعبادات، والمجتمع ومعاملاته، والسياسة والحكم، والفقه، والطب وقد اعتنى الشيخ في المجلد الثالث بفقه الأقليات، كما أن للشيخ جزءاً رابعاً تحت الإعداد.

٢ - الكتب :

« كتبه - أي القرضاوي - لها ثقلها وتأثيرها في العالم الإسلامي » هكذا قال العلامة ابن باز رحمه الله عن كتب الشيخ القرضاوي، والشيخ حفظه الله كاتب إسلامي بارز ، وهو من أبرز الكتاب الإسلاميين في الفترة الأخيرة ، ومن أكثرهم عطاء ، ولا يكاد الشيخ يترك باباً من أبواب الثقافة الإسلامية إلا وهو يسجل فيه مولوداً صغيراً ، أو شبلاً كبيراً ، أو أسداً هصوراً .

والشيخ حفظه الله كاتب بالفطرة ، صاحب قلم سيال، وفكر ثاقب ، وهمة عالية ، وتحرك متواصل ، ترجم ذلك كله إلى كتابات طوفت مشارق الأرض ومغاربها .

وقد يعجب المتابع لرحلة الشيخ الكتابية ، بداية من كتابه « الحلال والحرام » ومروراً بـ « فقه الزكاة » و« الإيمان والحياة »، و« العبادة في الإسلام » ..... وانتهاء بـ « فقه الجهاد » ، وغيرها .. ليقف أمام عدد هائل من الكتب والمؤلفات ؛ مع كثرة أسفار الشيخ ، وتعدد أعماله ، وتنوع اهتماماته ، ولكن إذا عرف السبب بطل العجب، فإن كثرة هذا العطاء مع كثرة هذه الأعمال يرجع إلى عدة أمور :

١ - التوفيق من الله تعالى، وإكرام الله له بالبركة في وقته ، والشيخ كثيراً

---

(١) انظر : لقاءات ومحاورات ج٢ ص ١٣٥ ، ١٣٦ بتصرف .

ما يردد قوله تعالى ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]. وكثيراً ما يدندن بقول الشاعر :

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده(١)

ب ـ عمل الشيخ المتواصل والذي يصل نحو (١٤) أو (١٥) ساعة تقريباً يومياً(٢)، فلا يدع الشيخ لحظة دون الاستفادة منها ، فهو يكتب في بيته ومكتبه ، وفي سفره وحضره، في حله وترحاله ، في بره وجوه ، بل إنه ليكتب وهو في فراش المرض ، و في جو السماء ، وهذه بعض الكتب التي كتب لها مقدماتها وهو في جو السماء :

- من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالأمة .
- الفتوى بين الانضباط والتسيب .
- بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمغتربين .

ج – أن كثيراً من كتب الشيخ هي في الأصل خطبة من الخطب، أو محاضرة من المحاضرات، أو ندوة من الندوات، انقدح في ذهن الشيخ أن تخرج إلى عالم الكتابة .

ويمكن تقسيم كتب الشيخ وسبب خروجها إلى النور على النحو التالي :

١ـ كتب أصلها بحوث أعدت لمؤتمرات وندوات :

* شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان.
* ثقافة الداعية .
* عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية .
* الثقافة الإسلامية بين الأصالة المعاصرة .
* دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي .
* كيف نتعامل مع السنة النبوية .
* كيف نتعامل مع القرآن .

(١، ٢) انظر : يوسف القرضاوي فقيه الدعاة وداعية الفقهاء عصام تليمة ص ٨٠ .

* رعاية البيئة في شريعة الإسلام .
* بناء المساجد .
* الأسرة كما يريدها الإسلام.

٢ـ كتب ألفت لتكون مقررات دراسية مثل :

* الخصائص العامة للإسلام .
* المدخل لمعرفة الإسلام .
* الاجتهاد في الشريعة الإسلامية .
* المدخل إلى دراسة الشريعة الإسلامية.

٣ـ كتب فرضها واقع الأمة الثقافي والسياسي والفكري مثل :

* سلسلة حتمية الحل الإسلامي وهي أربعة أجزاء .
* سلسة ترشيد الصحوة الإسلامية ومنها :

– الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف .
– الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم .
– أين الخلل .

٤ـ كتب يفرضها واجب الوفاء للمكتوب عنهم مثل :

* الشيخ الغزالي كما عرفته .
* أبو الحسن الندوي كما عرفته.

٥ ـ كتب ألفت نزولاً على رغبة بعض المقربين مثل :

* سلسلة نحو وحدة فكرية للعاملين للإسلام وصدر منها ستة أجزاء.
* حاجة البشرية إلى الرسالة الحضارية لأمتنا .

٦ـ كتب تفرضها المناسبة التاريخية مثل :

* التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا .
* الإخوان المسلمون : سبعون عاماً في الدعوة والتربية والجهاد .
* أمتنا بين قرنين .
* الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه .

* مقومات الفكر عند الشيخ محمد إبراهيم البشير. (تحت الطبع).

٧ـ كتب ألفت لتكون رداً على مواقف وأفكار أو كتب لأشخاص معروفين مثل :

* الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه ، في الرد على دكتور فؤاد زكريا.
* فوائد البنوك هي الربا الحرام ، في الرد على دكتور سيد طنطاوي .
* الشفاعة ، في الرد على دكتور مصطفى محمود .

٨ ـ كتب ألفت لشعور الشيخ بأن المكتبة في حاجة إليها مثل :

* الإيمان والحياة .
* فقه الزكاة .
* سلسلة تيسير فقه السلوك . وصدر منها أربعة أجزاء.
* ملامح المجتمع الذي ننشده .
* العبادة في الإسلام .

٩ـ كتب كانت في الأصل مقالات صحفية مثل :

* الدين في عصر العلم . وهو فصل من كتاب بينات الحل الإسلامي .
* أين الخلل . وقد شارك به الشيخ في مجلة الأمة .
* الأصولية . وقد شارك به الشيخ في جريدة الشرق الأوسط عن مصير الأصولية .

١٠ـ كتب كانت في الأصل محاضرات ، وفرغت من أشرطتها مثل :

* السنة والبدعة . وكانت محاضرة ألقاها الشيخ في مركز الدعوة والإرشاد بقطر .

١١ـ كتب ألفت إثر أسئلة ومحاورات مثل :

* الأقليات الدينية والحل الإسلامي .
* نحن والغرب.

١٢ـ كتب مقتبسة من كتابات سابقة للشيخ دعت الحاجة إلى إفرادها في كتيب صغير مثل:

* مركز المرأة في الحياة الإسلامية. أحد فصول كتاب ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده .

* النقاب للمرأة بين القول ببدعيته والقول بوجوبه ، وهو مجموع من فتوتين من فتاوى معاصرة .

* الدين في عصر العلم . أحد فصول بينات الحل الإسلامي .

* الفتوى بين الانضباط والتسيب . أصلها مقدمة لكتاب الفتاوى .

خصائص القرضاوي الكتابية :

تمتاز كتابات القرضاوي ومؤلفاته بميزات عديدة نشير إليها بإيجاز :

١ – الأسلوب الأدبي الرائع .

٢ – الشمول .

٣ – كثرة المراجع والمصادر .

٤ – الغزارة والتنوع .

٥ – الجمع بين مخاطبة العقل وتحريك العواطف .

٦ – الرفق مع المخالفين ، والشدة مع المتطاولين .

٧ – الجمع بين الأصالة والمعاصرة .

٨ – قوة الاستدلال مع حسن الاستشهاد بالكتاب والسنة .

٩ – التنبيه على الأولويات .

١٠ – الإيمان بالفكرة والصدق في التعبير عنها .

١١ – ترجمة الكثير منها إلى لغات عدة .

١٢ – كشف زيف النظريات المادية .

١٣ – الواقعية .

١٤ – العمق .

١٥ – عدم التعصب لرأي بعينه .

١٦ – اتسامها بالحرارة والحيوية لارتباطها بواقع الحياة .

١٧ – النقد الهادف والبناء حتى لمن أحب .

١٨ – الاعتدال بين المتشددين والمتسيبين .

١٩ – السهولة واليسر بعيداً عن التقعر والتكلف والتعقيد .

٣ ـ الشعر :

يعد الشعر وسيلة من الوسائل الدعوية ، وأسلوباً من أساليبها، وهو أسلوب قديم جديد، أو وسيلة قديمة متجددة، والتاريخ الإسلامي حافل بفطاحل الشعراء وفحولهم ممن كافحوا بكلماتهم عن هذا الدين، ونافحوا بأشعارهم عن حرمات الإسلام، وذادوا عنه بقوافيهم وأبياتهم.

ومَن من الناس لا يذكر حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك ، وعلي بن أبي طالب ، وعمر، وابن عباس ، ومعاوية ، وعائشة ، والشافعي ، وابن المبارك ، وابن القيم ، وابن حزم .....وغيرهم ؟

أو لا يذكر قول كعب بن زهير رضى الله عنه في قصيدته الشهيرة [بانت سعاد] بين يدي رسول الله ﷺ وفيها يقول :

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول (١)

وروى أحمد في مسنده أن الأسود بن سريع قال لرسول الله ﷺ : إني حمدت ربي بمحامد ومدح وإياك . فقال ﷺ : « أما إن ربك يحب المدح ، فهات ما امتدحت به ربك عز وجل ، فأنشده »(٢).

قال القرطبي: قال ابن عبد البر : ولا ينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم ، ولا من أولي النهى ، وليس أحد من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة إلا قد قال الشعر، أو تمثل به أو سمعه (٣).

ومن المواقف الرائعة التي سجلها التاريخ في صحائفه لحسان بن ثابت رضي الله عنه ما رواه الإمام مسلم : أن المشركين هجوا رسول الله ﷺ وكان منهم أبو سفيان، فقال حسان : ائذن لي في أبي سفيان يا رسول الله ﷺ ، قال كيف بقرابتي منه ؟ قال : والذي أكرمك لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من الخميرة ، فقال حسان :

---

(١) انظر : القصيدة بكاملها في السيرة النبوية ابن هشام ج٤ ص ١٤٦ .
(٢) رواه أحمد في المسند(١٥٥٩٠) عن الأسود بن سريع ، وقال محققوه: إسناده ضعيف.
(٣) انظر : جامع أحكام القرآن ١٣ ص ١٥١ .

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد

وفي رواية أخرى عند مسلم أيضا : أن رسول ﷺ أرسل إلى عبد الله بن رواحة، ثم أرسل إلى كعب بن مالك ، ثم أرسل إلى حسان . فلما دخل عليه قال : قد آن أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضاري يذنبه ، ثم أدلع لسانه فجعله يحركه فقال : والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الأديم ، فقال له رسول الله ﷺ : « إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله »[1].

وقد قسم أرباب العربية الشعراء إلى أقسام :

١ – شاعر خنذيد : وهو الذي يجمع مع جودة شعره رواية الجيد من غير شعره.

٢ – شاعر مفلق : وهو الذي لا رواية له؛ إلا أنه مجود كالخنذيد في شعره.

٣ – شاعر فقط : وهو فوق الرديء بدرجة .

٤ – شعرور : وهو الذي لا شيء عنده [2].

والشيخ القرضاوي لا يقل رتبة عن القسم الثاني ، فهو شاعر خنذيد ، ذلك أن الشيخ راوية جيد لشعر غيره من القدماء والمحدثين ، والقارئ للشيخ والسامع له يرى ويسمع أطايب الحكم، ولطائف الأبيات التي يستشهد بها الشيخ، في شتى الموضوعات، ومختلف المقامات .

وأعجب ما في الشيخ أنه لا يكثر من شعره في خطبه أو محاضراته أو كتاباته بقدر ما يكثر من شعر غيره ، هذا على الرغم من روعة ما عند الشيخ من الشعر، مما يستشهد به غيره، ويزين به الخطباء خطبهم، والكتاب صحائفهم.

ولعل الشيخ عبد الحميد كشك ـ رحمه الله ـ كان من أشهر الخطباء ،

---

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة رقم (٢٤٩٠) عن عائشة، وكان مما قاله حسان :

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
هجوت محمداً برأ تقياً رسول الله شيمته الوفاء
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

(٢) انظر : العمدة في محاسن الشعر ونقده ابن رشيق القيرواني تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط الرابعة دار الجيل ١٩٧٢م ج١ ص ١١٦ .

وأسبقهم استشهاداً بشعر الشيخ القرضاوي ، فكم استشهد بأبيات عديدة من الملحمة النونية ومن ذلك قوله :

أرأيت بالإنسان يُنفخ بطنه ... حتى يُرى في هيئة البالون ؟
أسمعت بالإنسان يُضغط رأسُه ... بالطوق حتى ينتهي لجنون ؟
أسمعت بالإنسان يُشعل جسمه ... ناراً وقد صبغوه بالفزلين ؟
أسمعت ما يلقى البرىء ويصطلي ... حتى يقول : أنا المسيءُ خذوني
أسمعت بالآهات تخترق الدجى ... رباه عدلك .. إنهم قتلوني
إن كنت لم تسمع فسل عمّا جرى ... مثلي ولا ينبيك مثل سجين[1]

وكذلك استشهاده بقول القرضاوي الشاعر :

صبرنا إلى أن مل من صبرنا الصبر ... وقلنا : غداً أو بعده ينجلي الأمر !
فكان غد عاماً ولو مد حبله ... فقد ينطوي في جوف هذا الغد الدهر !
وقلنا : عسى أن يدرك الحق أهله ... فصاحت «عسى» من «لا» و«لا» طعمها مر !
سلام على الدنيا سلام على الورى ... إذا ارتفع العصفور وانخفض النسر ![2]

والشيخ القرضاوي من شعراء الحركة الإسلامية في العصر الحديث، بل هو من أكثرهم عطاء، وأوسعهم شهرة، وقدر صدر له ديوانان، كما أن الشيخ كذلك من الأدباء الفقهاء والفقهاء الأدباء، ولئن كان الشيخ أطلق على الأستاذ علي الطنطاوي ـ رحمه الله ـ أديب الفقهاء وفقيه الأدباء، فإن الشيخ يستحق هذا اللقب أيضاً وبجدارة .

بداية القرضاوي الشعرية :

الشيخ القرضاوي بدأ بداية شعرية مبكرة ، ساعده على ذلك حبه للغة العربية وعلومها، فضلاً عما حباه الله به من لسان فصيح ، وملكة لغوية رائعة ،

---

(١) انظر : نفحات ولفتحات ص ٥٨ .
(٢) هذه القصيدة من القصائد الضائعة ولم تبق إلا هذه الأبيات فقط .

وقد كانت شهرة الشيخ الشاعرية سابقة لشهرته الفقهية والدعوية والفكرية ، يقول في حواره مع الأستاذ عمر بطيشة في برنامجه « شاهد على العصر » : أنا كنت أقول الشعر في الحقيقة في مطلع حياتي حتى إني في وقت من الأوقات عرفت بالشعر أكثر مما عرفت بغيره ، كانوا إذا قيل القرضاوي ، يقولون : القرضاوي الشاعر ؟ يعني قبل الخطيب أو الداعية ، ثم شغلت فعلاً بالجانب الفقهي والجانب الفكري والجانب الدعوي [1].

وهذا ما جعل الشيخ « الغزالي » ـ رحمه الله ـ عند سماعه قصيدة « السعادة » أن يقول : القرضاوي لديه قابلية أن يكون شاعراً عظيماً [2].

أول قصيدة للقرضاوي :

وكانت أول قصيدة للشاعر الناشئ بعنوان « صفارة الإنذار » ، وقد كان الشعر هو الشرك الذي صاد به شباب الإخوان الشاعر يوسف القرضاوي ، ذلك أن القرضاوي الشاعر كان قد ذاع صيته بين شباب المعهد الأزهري فدعاه بعض شباب الإخوان لإلقاء قصيدة في افتتاح الموسم الثقافي بدار الإخوان، وكانت القصيدة قافية القافية من أبياتها :

قلبي يحس برحمة تتدفق ... ويرى الملائك حولنا قد أحدقوا
وكأن أحمد والصحابة أقبلوا ... فرحاً بنا قد باركوا وتحلقوا [3]

القرضاوي والشعر :

للشيخ القرضاوي نظرة في الشعر كغيره من الشعراء والأدباء ، والشعر عند القرضاوي دمع العين حين يعتصرها الأسى ، والعود الذي يعزف عليه آهات الألم وأنات الوجع ، يقول الشيخ :

---

(١) انظر : لقاءات ومحاورات ج١ ص ٣٤ ، لقاءات ومحاورات ج٢ ص ٢١٩ .
(٢) انظر : ابن القرية والكتاب ج١ ص ٢٥٨ وانظر : ما ذكرته في الفصل الثاني «مواهب وأدوات القرضاوي الدعوية» «الثقافة الأدبية واللغوية».
(٣) انظر : المرجع السابق ج ١ ص ١٧٧ .

ثار القريض بخاطري فدعـــوني أفضـي عليكم بفجائعي وشجوني
فالشعر دمعي حين يعصرني الأسى والشعر عودي يوم عزف لحوني[1]

وقد نظم الشيخ قصيدة رائعة ، بين فيها نظرته إلى الشعر ، ورأيه في أهله ، كان عنوانها: « أنا والشعر » كان مطلعها :

أريد له هجراً فيغلبني حبي وأنوي ولكن لا يطاوعني قلبي [2]

وفيها يرى الشيخ أن الشعر لا غنى للإنسان عنه ، ، وهو يعني بذلك الشعر الرصين ، والكلمات العفيفة ، والأفكار الهادفة ، فيقول :

وكيـــف أطيق الصـبر عنه وإنمـا أرى الشعر للوجدان كالماء للعشب
فكم شد من عزم وبصر من عمى وأيقظ من نوم وذلل من صعب [3]

ويحـمل الشـيخ حـملة نكراء على المتـاجـرين بأشـعـارهم ، الذين جـعلوا كلماتهم سلعة رخيصة تباع وتشترى ، فزيفوا الحقائق ، وبدلوا القيم ، فجعلوا الخبيث طيباً ، والطيب خبيثاً ، وصار الحلو عندهم مراً ، والمر عندهم حلواً ، ورفعوا الوضيع ، وضيعوا الحقوق ، يقول الشيخ :

لقـد بغضت لي الشـعر في مـصـر ثلة يبـيـعونه بـالمال للبغي والنـهب
فكـم سـافـحٍ قـد لقـبـوه بفـاتـح وكم مسرف سموه ذا الكرم الرحب
وكم فـاجـر باغٍ مشـوا في ركـابـه وسـمـوه ليـثـاً وهو أدنـأ من كـلب
وكم ولغت في حرمـة الناس كفـه فغطوا عليها كالخضاب على الشيب
إذا كان هذا ديدن الشعر في الورى فما هو إلا السم في المشرب العذب [4]

---

(١) انظر : نفحات ولفحات ص ٥٤
(٢، ٣، ٤) انظر : المرجع السابق ص ٥٠ .

كما يلسع الشيخ بسياط كلماته من جعلوا الشعر للغزل في نهود النساء وشفاههن ، ممن وقفوا شعرهم على قصص الحب والهيام والغرام فيقول :

وطائفة أخرى أطاعوا هواهمو ... فجازوا إلى اللذات دربا إلى درب
يقولون : ليس المرء إلا فؤاده ... وكيف يعيش المرء جسماً بلا قلب ؟!
فغاصوا به في الغيد والحب والهوى ... كأن لم يكن في القلب معنى سوى الحب
إذا لم يكن في القلب دين وهمة ... وبغض لطغيان فما هو بالقلب ![1]

ويختم الشيخ قصيدته ببيان رسالته الشعرية ، وهدفه النبيل منها ، فيذكر أن شعره إنما هو للحق والحق وحده ، لدعوته لا لغيرها ، ومن ثم فإنه يرى أن شعره كوكباً عالياً يرمي شياطين الإنس بشهب من نار ، يقول الشيخ :

وقفتك يا شعري على الحق وحده ... فإن لم أنل إلاه قلت لهم : حسبي !
وإن قال غر : ثروتي ، قلت :دعوتي ... وإن قال لي : حزبي ، أقول له : ربي !
فعش كوكباً يا شعر يهدي إلى العلا ... وينقض رجماً للشياطين كالشهب[2]

وللشيخ القرضاوي نظرة ثاقبة في الشعر ، فهو لا يرى الشعر مجرد قواف وأوزان ، خالية من المضمون والغاية ، ولذا تراه يعترض على كل ما يخل بالشعر العربي الإسلامي الأصيل فيقول : هناك اعتراض آخر خاص بالمضمون فقد لاحظت أن كثيراً من معاني الشعر الحديث فيها خروج عن القيم والعقائد والشرائع والتقاليد ، فهو ليس ثورة على القافية أو الوزن ، ولكنه ثورة على تراثنا كله من عقائد وقيم وأخلاقيات وهذا هو الخطر [3].

(١، ٢) انظر : المرجع السابق ص ٥١ .
(٣) انظر : لقاءات ومحاورات ج٢ ص ٢٢١ .

والشعر الخالد في نظر الشيخ هو: الشعر الذي يعبر عن آلام الأمة ويصور آلامها ويتحدث عن آهاتها ، لا شعر النهود والأرداف كما هو عند كثير من الشعراء الآن ، يقول الشيخ : لكن إذا توجه الشعر الحديث إلى تعبئة الأمة للثورة على الصهيونية وللوقوف في وجه الغاصبين الذين يريدون أن تذهب القدس نهائياً ، ويسعون إلى اغتصاب كل فلسطين ، وهدم المسجد الأقصى فربما كتب له الخلود [١].

ميزات القرضاوي الشعرية :

وإذا كان القرضاوي قد اقتحم ميدان الشعر ، وغاص في بحوره ، فإنه اقتحم هذا الميدان وهو له أهل ، وغاص في بحوره وهو سباح ماهر ، فهو كما يقول الأستاذ حسني جرار : القرضاوي شاعر عبقري البيان ، صادق العاطفة والإحساس ، وذو خيال خصب ، وموهبة عميقة ، وأداء جميل ، وتوفيق كامل ومؤثر في رسم الصور والمشاعر ، تبدو في شعره سلامة العرض وفصاحة الأسلوب وطول النفس[٢].

ومن ثم فقد عرف شعر القرضاوي بعدة ميزات منها :

١ – السلامة والتدفق .

٢ – الصدق في الإحساس والتصور .

٣ – الأسلوب القصصي .

٤ – الالتزام بعقيدة التوحيد .

٥ – الالتزام بالفكر الإسلامي والاعتزاز به .

٦ – كما أن شعر الشيخ يتسم بالواقعية فهو « منبثق من الواقع فكرة وتجربة وأسلوباً ، شعر يحمل معاناة إنسانية من خلال المفاهيم والتصورات الإسلامية ،

---

(١) انظر : المرجع السابق ج٢ ص ٢٢١ .

(٢) انظر : نفحات ولفحات ص ٢٥ .

شعر يتحدث عن آلام الناس ويدعو إلى إزالة المظالم وإصلاح الفساد ، شعر يتحرك في إطار الإسلام ويلتزم المنهج الإسلامي ، إنه شعر دعوة ، وزاد من زاد الدعاة »[١].

الأغراض الشعرية في شعر القرضاوي :

يذكر علماء اللغة والأدب أن للشعر أغراضاً ومجالات ، كالمدح والثناء ، والرثاء والهجاء ، والوصف .... وغيرها ، وكان للشيخ الشاعر مساهمات عديدة في معظم هذه الأغراض الشعرية وعلى سبيل المثال :

١ـ الرثاء :

وله في ذلك قصيدة بعنوان « دمعة وفاء » يقول في مطلعها :

أبكي وهل يشفي البكاء غليلا؟ ... وقد انتوى عنا الحبيب رحيلاً
أبكي وليس من البكا بد ، وإن ... كان المصاب على القلوب جليلاً
أبكي على غصن نما فيّ روضة ... للحق أذبله المنون ذبولاً[٢]

٢ـ الوطنية :

وله في ذلك قصيدة بعنوان « يا أزهر الخير » ألقاها بعد كلمة ارتجالية في توديع كتائب الأزهر إلى فلسطين وفيها يقول :

دع المداد وسطر بالدم القاني ... وأسكت الفم واخطب بالفم الثاني
فم المدافع في صدر العداة له ... من الفصاحة ما يزري بسحبان
يا أزهر اليوم قدها الخير عاصفة ... فإنما أنت من نور ونيران
هذا شبابك في الميدان منطلق ... فهل نرى في الشيوخ اليوم كاشاني[٣]
متى أرى ألسن الدنيا تحدث عن ... «حمروش»[٤] مصر ككاشانيّ إيران[٥]

---

(١) انظر : المرجع السابق ص ٢٤ ، ٢٥ بتصرف .
(٢) انظر : المرجع السابق ص٤٧ .
(٣) كاشاني : هو آية الله كاشاني ، وكان قد لبس الكفن وقاد المظاهرات ضد شاه إيران ، فلفت أنظار العالم بصنيعه هذا.
(٤) حمروش : هو إبراهيم حمروش ، وكان شيخ الأزهر وقتها .
(٥) انظر : ابن القرية والكتاب ج١ ص ٤٥١ .

٣ـ الوصف :

ويبدو ذلك في قصيدته «في ذكرى المولد» وفيها يصف شباب الإخوان بقوله :

يا سيد الرسل طب نفساً بطائفة ... باعوا إلى الله أرواحاً وأبدانا
قادوا السفينة فما ضلوا ولا وقفوا ... وكيف لا وقد اختاروك ربانا
عاشوا على الحب أفواهاً وأفئدة ... باتوا على البؤس والنعماء إخواناً
الله يعرفهم أنصار دعوته ... والناس تعرفهم للخير أعوانا
والليل يعرفهم عباد هجعته ... والحرب تعرفهم في الروع فرسانا[1]

٤ ـ المديح :

وإن كان الشيخ مُقلاً في هذا الجانب؛ إلا أنه له بعض الأبيات في المدح ، ومنها قصيدته في مدح الإمام البنا، وكذلك قصيدته التي نظمها بعد اعتقاله ذات مرة، يقول في القصيدة :

لم أنس وقفة «صالح» بشجاعة ... وأخي الدمرداش والعسال
وثبات حسان ومحيي حوله ... رغم الضنى في الجسم والأثقال
وبقربنا شيخ يجلجل صوته ... ضرب الخسيس لشامخ متعال
عبد المعز يقول : دونكم اضربوا ... إمهال ربي ليس بالإهمال[2]

وله كذلك قصيدة ضائعة بعنوان «الدعوة تتحدث عن نفسها» وفيها يمدح القرضاوي دعوته، ضاعت جلها ولم يبق منها إلا أبيات رسخت في ذاكرة الشيخ، وفيها يقول :

يا دعوة الحق قصي ما لقيت فقد ... يؤذى الهدى ويعان الباطل البور
قالت: ولد حق وحق الشرق مكتئب ... وباطل الغرب مسرور ومغرور
لا عدل في الأرض بل ظلم وتفرقة ... والعدل أعظم ما تحوي الدساتير
حق الإباحي محفوظ ومحترم ... وحق الدين مهضوم ومهدور

(١) انظر : نفحات ولفحات ص٤٤ .
(٢) انظر : المسلمون قادمون ص ١٠ .

إلى أن يقول :

ظنوا وراء اللحى بلهاً ودروشة ... مهلاً فخلف اللحى أسد مغاوير
للغرب هم أجل للشرق هم أمل ... للدين نصر ، وللأوطان تحرير[1]

٥ ـ الهجاء :

وإذا كان الشيخ قد عرف عند القاصي والداني والخاصة والعامة بعفة اللسان، ودماثة الخلق ، إلا أن الظروف قد تضطره أحياناً إلى الهجاء ، لكنه لا يهجو إلا من يستحق ، ومن هؤلاء صلاح نصر وبعض رجال الثورة فيقول :

أترى أولئك ينتمون لآدمٍ ... أم هم ملاعينٌ بنو ملعون ؟
تالله أين الآدمية منهمو ... من مثل محمودٍ ومن ياسين
من جودة أو من دياب ومصطفى ... وحمادةٍ وعطية وأمين
لا تحسبوهم مسلمين من اسمهم ... لا دين فيهم غير سبّ الدين
لا دين يردع لا ضمير محاسبٌ ... لا خوف شعبٍ لا حمى قانون
من ظن قانوناً هناك فإنما ... قانوننا هو حمزة البسيوني
جلاد ثورتهم وسوط عذابهم ... سموه زوراً قائداً لسجون
وجه عبوس قمطرير حاقدٌ ... مستكبر القسمات والعرنين
في خده شجٌ ترى من خلفه ... نفساً معقدةً وقلب لعين
متعطشٍ للسوءِ في الدم والغ ... في الشرّ منقوعٍ به معجونِ[2]

٦ ـ المناسبات :

وكثيراً ما يقرض الشيخ في المناسبات الخاصة أو العامة ، ومن ذلك :

قصيدته الرائية التي ألقاها بمؤتمر طلاب الأزهر عام ١٩٥٢م وفيها يقول :

صبرنا إلى أن مل من صبرنا الصبر ... وقلنا :غداً أو بعده ينجلي الأمر !
فكان غد عاماً ولو مد حبله ... فقد ينطوي في جوف هذا الغد الدهر ![3]

---

(١) انظر : ابن القرية والكتاب ج١ ص ٣٠٥ .
(٢) انظر : نفحات ولفحات ص ٥٦ ، ٥٧ .
(٣) هذه القصيدة من قصائد الشيخ الضائعة ولم تبق إلا هذه الأبيات فقط .

٧ـ الشعر القصصي :

ومن ذلك قصيدة « ثورة لاجئ » وفيها يسجل الشيخ حواراً بينه وبين طفل فلسطيني لاجئ في خيام اللاجئين ، وقد أبدع الشيخ في هذه القصيدة ، والذي يقول في مطلعها :

رأيتـه مطرقـاً يبكـي فـأبكانـي وهاج من قلبي المكلوم أشـجـانـي
في زهرة العـمـر إلا أن دهرك لا يرعى الشيوخ ولا يرثى الصبيان[١]

٨ـ الشعر المسرحي :

كما في مسرحية « يوسف الصديق » فقد كان للنزعة الأدبية التي عُرف بها الشيخ منذ صغره أثر في توجهه إلى خوض غمار الكتابة المسرحية ، وكان الشيخ في ذلك متأثراً بكتابات السابقين، وخصوصاً شوقي في مسرحيتيه الشهيرتين « مصرع كليوباترا » و « مجنون ليلى » .

ولتأثر الشيخ بهذا النوع من الأدب نسج على منوال هاتين القصيدتين مسرحية شعرية عن « يوسف الصديق » عليه السلام ، و ذلك في نهاية المرحلة الابتدائية ، وقد أتم الشيخ وليده الأول في عالم الكتابة وهو في السنة الأولى الثانوية ، ومن المفارقات أن يجتمع « اليواسف » كلها في هذه المسرحية ، يقول الشيخ : فالموضوع هو « يوسف » عليه السلام ، والمؤلف هو « يوسف القرضاوي »، والمطبعة هي المطبعة « اليوسفية » لصاحبها « يوسف »[٢] .

٩ـ الغزل :

والشيخ وإن كان مقلاً في هذا الغرض؛ إلا أنه كتب وتغزل ، لكن غزل الشيخ ليس غزل مراهق عاشق، ولا حبيب ولهان ، بل هو غزل في دعوته، كما في غزله في ليلة القدر، والتي يقول فيها :

عشقتها فاسترقت قلبي العاني فقمت أنشد فيها عذب ألحاني[٣]

---

(١) انظر : المرجع السابق ص٨١ .
(٢) انظر : ابن القرية والكتاب ج١ ص ١٩٥ .
(٣) انظر : نفحات ولفحات ص٢٢ .

وكذلك غزله في حبيبه ﷺ، وفي قصيدة له «في ذكرى الهجرة» يقول :

سهرت إلى نجم السما أتطلع ... وأصبحت من جام الأسى أتجرع
وما بي هوى ليلى ولا عشق زينب ... و لا غرني قرط وعقد مرصع
ولكنني أهوى العلا في محمد ... وليس لقلبي في سواه تطلع[1]

كما أن للشيخ قصيدة غزلية كاملة في «بنت قنا» وهي بعنوان «القلة القناوي» وقد ذكرنا بعض أبياتها عند الحديث عن فكاهة الشيخ فلتراجع.

١٠ ـ التهنئة :

كما في قصيدته «تهنئة ودعاء» يهنئ فيها عروسين بالزواج يقول في مطلعها :

قم فحي الطهر وافاه الندى ... قم فحي النيل لاقى بردى
قم فحي الأموي اليوم قد ... عانق الأزهر ثم اتحدا[2]

١١ ـ التوبة والتضرع :

كما في قصيدته «مناجاة» يقول الشيخ فيها :

يا خير من أعطى وأكرم من عفا ... وإذا دعاه مذنب لا يُعْرِضُ
رب اسمك الغفار فاعف تكرماً ... يدعوك مكسور الجناح مُهَيَّضُ
عبد بضاعته الكلام ، جهاده ... صحف تسطر أو قريض يقرض
يدعو الورى للصالحات ، وسفره ... في صالح الأعمال خلو أبيض[3]

١٢ ـ الحماسة :

كما في قصيدته « يا أمتي وجب الكفاح » يقول في مطلعها :

يا أمتي وجب الكفاح ... فدعي التشدق والصياح
ودعي التقاعس ليس ينصر ... من تقاعس واستراح

---

(١) انظر : ابن القرية والكتاب ج١ ص٣٠٦ .
(٢) انظر : المسلمون قادمون ص ٨١ .
(٣) انظر : نفحات ولفحات ص٩٠ .

ودعي الرياء فقد تكلـ ... مت المذابح والجراح
كذب الدعاة إلى السلا ... م ، فلا سلام ولا سماح
ما عاد يجدينا البكا ... ء على الطلول أو النواح
لغة الكلام تعطلت ... إلا التكلم بالرماح
إنا نتوق لألسن ... بكم على أيد فصاح[1]

١٣ـ التأمل :

كما في قصيدته الممتعة «السعادة» وفيها يقول :

قل للذي يبغي السعادة ... هل علمت من السعيد ؟
إن السعادة أن تعيش ... لفكرة الحق التليد
لعقيدة كبرى تحل ... قضية الكون العتيد[2]

١٤ـ الفخر والاعتزاز :

والشيخ حين يكتب في الفخر والاعتزاز لا يفتخر بأمر من أمور الجاهلية ، ولكنه يعتز بإيمانه ويفتخر بإسلامه، كما في قصيدته «أصولي أصولي» ويقول في مطلعها:

أصولي أصولي ... أجل أنا ، لا وصولي
أصولي لي أصلي ... ولي نسبي الحنيفي
و أصل أصولي القرآن ... دستوري الإلهي
وسنة أحمد المختار ... لي زاد ولي ري

١٥ - الحكمة في شعر القرضاوي [3]:

عرف الأقدمون بحكمة شعرهم ، وهو إن دل على شيء فإنما يدل على فلسفتهم في الحياة ومَنْ مِنَ الناس لا يعرف حكمة الشاعر:

---

(١) انظر: المرجع السابق ص ٩٤ .
(٢) انظر : نفحات ولفحات ص ٧١ .
(٣) سأطيل الحديث عن هذا الغرض كمثال من أغراض الشيخ الشعرية ، وذلك لشيوع هذا الغرض في شعر الشيخ.

إذا المرء لم يدنس اللوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وقول الآخر :

لا يعجبنك من يصون ثيابه حذر الغبار وعرضه مبذول

والقرضاوي في شعره حكيم وفيلسوف ، وقصائده تعج بالحكمة ، وقلّ أن تخلو قصيدة من قول الحكمة ومن ذلك :

ومن تكن برسول الله قدوته كانت خلائقه روحاً وريحاناً[١]

وقوله :

والليث لن تحني الأقفاص هامته وإن تَحكّم فيه ألف سجان[٢]

وقوله :

إذا لم يكن في القلب دين وهمة وبغض لطغيان فما هو بالقلب[٣]

وقوله :

أفعندنا كبش النطاح ونعجة في الحرب جماء بغير قرون[٤]

وقوله :

فعليك بذر الحب لا قطف الجنى والله للساعين خير معين[٥]

وقوله :

كل النفائس قد تعوض إن تضع والعمر إن ضيعت ليس يعوض

وإذا أتى الأجل المقدر وقته لم يغن عنك مطبب وممرض[٦]

وقوله :

شعب بغير عقيدة ورق تذريه الرياح

من خان حي على الصلاة يخون حي على الكفاح[٧]

---

(١) انظر : المرجع السابق ص ٣٧ .
(٢) انظر : المرجع السابق ص ٤٠ .
(٣) انظر : المرجع السابق ص ٥١ .
(٤) انظر : المرجع السابق ص ٦٣ .
(٥) انظر : المرجع السابق ص ٦٩ .
(٦) انظر : المرجع السابق ص ٩٠ .
(٧) انظر : المرجع السابق ص ٩٨ .

وقوله :

والليل إن تشتد ظلمته ... نقول : الفجر لاح
والفجر إن يبزغ فلا ... نوم وحي على الفلاح[1]

وقوله :

من اهتدى بهدى الأخيار كان على ... خير وسار وعين الله ترعاه
ومن مشى خلف ركب السوء ضاع ... كما ضاعوا وتاه بعيداً مثلما تاهوا[2]

وقوله :

ضرب الرجال وهم أسارى قيدهم ... من شيمة الأوغاد لا الأبطال
والليث ليس يعيبه إيذاؤه ... ما دام في الأقفاص والأغلال
الجسم قد يؤذى وليس بضائرٍ ... نفساً تعز على أذى الأنذال[3]

وقوله :

يا ناشداً للهدى في الغرب معذرة ... إن الهدى حيث وحي الله قد هبطا
من رام شهداً فإن النحل مصدره ... ومن بغى السم فليطلب له الرقطا[4]

وقوله :

من عاش في كنف الإيمان كان له ... أمناً وعاش رضي النفس مغتبطا
يحيا مع الله في أنس وفي سعة ... ما ضاق يوماً بمأساة ولا قنطا[5]

وقوله :

هل يستوي من رسول الله قائده ... دوماً وآخر هاديه أبو لهب[6]

وقوله :

لا تبتغوا الحق عند الغرب ويحكمو ! ... نبع الحقيقة في القرآن لم يشب
إن الدعارة في الأرواح فاعلة ... ما يفعل السم في الأبدان من وصب[7]

---

(١) انظر : المرجع السابق ص ٩٨ .
(٢) انظر : المرجع السابق ص ١٠٢ .
(٣) انظر : المرجع السابق ص ١٢ .
(٤) انظر : المرجع السابق ص ٣٢ .
(٥) انظر : المرجع السابق ص٣٦ .
(٦) انظر : المرجع السابق ص ٣٩ .
(٧) انظر : المرجع السابق ص ٤٠ .

وقوله :

إن الرذيلة داء شره خطر ... يعدي ويمتد كالطاعون والجرب
جرح الجسوم يسير أن تداويه ... والجرح في العرض كم يفضي إلى العطب
والكسر في العرض كسر لا انشعاب له ... كسر الزجاجة كسر غير منشعب
من ضيّع العرض يوماً لن يعوضه ... ما عند قارون من مال ومن نشب[1]

وقوله :

إذا رمت العلا من غير بذل ... فنم واحلم، وكُلْ لحماً وأرزاً[2]

وقوله :

وإن يعتز بالدنيا جهول ... فكن بالدين والتقوى أعزا
وإذا لم تكسك التقوى ستعرى ... وإن حلّوك ديباجاً وخزاً[3]

وقوله :

فالمرء من غير دين ... شيء يضاهي« الغرلا »
والعيش من غير دين ... يبدو سراباً مضلا
والكون من غير دين ... لغزاً أبى أن يحلا[4]

وقوله :

ومن عاش بلا دين ... يعيش مضطرب النفس
كلفظ ما له معنى ... كتمثال من « الجبس»
كمصروع لشيطان ... تخبطه من «المس»[5]

متى يكتب القرضاوي شعره ؟

بعد انشغال الشيخ بالجانب الدعوي والفكري والفقهي، أصبح إنتاجه الشعري قليلاً، لكن قد تأتي ظروف يمر بها الشيخ شخصياً، أو تمر بها الأمة

---

(١) انظر: المرجع السابق ص ٤٣ .
(٢، ٣) انظر : المرجع السابق ص ٥٢ .
(٤) انظر: المرجع السابق ص ٥٣ .
(٥) انظر : المرجع السابق ص ٦٠ .

الإسلامية ، فتهيج الأحداث أحاسيسه ، وتتحرك مشاعره، ليعبر عما يدور حوله من أحداث، وعادة ما يكون ذلك في أوقات الفراغ كزيارة لمعتقل، أو نوم على فراش المرض ، ولذلك تجد أن كثيراً من شعر الشيخ هو شعر المحن[١] ، ولذا يقول في قصيدته النونية أو « ملحمة الابتلاء » :

كم قال صحبي أين غر قصائد ... تشجي القلوب بلحنها المحزون؟
وتخلد الذكرى الأليمة للورى ... تتلى على الأجيال بعد قرون
ما حيلتي والشعر فيض خواطر ... مادمت أبغيه ولا يبغيني
واليوم عاودني الملاك فهزني ... طرباً إلى الإنشاد والتلحين[٢]

القرضاوي وشعره الضائع :

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن شعر القرضاوي لم يدون كله، ولن يدون كذلك ، لأن الظروف القاسية التي مرّت بها الحركة الإسلامية في منتصف القرن الماضي جعلت كثيراً من شعراء الدعوة يلجأون إلى طرق متعددة حتى لا تنسب إليهم ، حيث كانت هذ القصائد بمثابة منشورات ثورية ضد الثورة « المباركة » ورجالها « الأشاوس » .

وهذا ما جعل شعراء الدعوة الإسلامية يلجأون إلى طرق متعددة منها :

الطريقة الأولى : الشعر الرمزي:

وفيه يرمز الشاعر برموز حين لا يستطيع الإفصاح ، ويكتفي بالإشارة عن العبارة، وبالتلميح بدلاً عن التصريح ، ومن هذا قصيدة الشاعر « محمد المجذوب » والتي بعنوان « اللعين الأول » وفيها يقول :

كان جوان ـ ليته لم يكن ـ ... يزاول الدفن بإحدى المدن
وكان كل الناس يكرهونه ... لغير ذنب غير ما يحكونه
من كونه يجرد الأمواتا ... من كل شيءٍ يستر الرفاتا
لذاك ضج الشعب من جرائمه ... فلا يرى ثمة غير شاتمه[٣]

---

(١) انظر : لقاءات ومحاورات ص ٣٤ . (٢) انظر : نفحات ولفحات ص ٥٤ .
(٣) انظر : « أجمل مائة قصيدة في الشعر الإسلامي المعاصر » المجموعة الأولى أحمد الجدع ط. دار الإسراء ص : ١٣٣ .

الطريقة الثانية : النشر دون التوقيع :

نشر القصيدة دون التوقيع باسم كاتبها ، وذلك كما في قصيدة « مناقشات سياسية » والتي عرف فيما بعد كاتبها، وهو الشاعر « محمد مصطفى حمام »، وفيها يقول :

أداروهـــا شُـــيـــوعِـــيَّـــهْ وسَـــمُّـــوهـــا اشـــتـــراكـــيَّـــهْ
وقـــالـــوا كُـــلُ ذي مـــالٍ عـــريـــقٌ فـــي اللصـــوصـــيَّـــهْ
ومـــا قَـــدْ نِلـــتُ مـــن إرْثٍ فَنَـــهْـــبٌ وانْتِـــهـــازِيَّـــهْ[1]

الطريقة الثالثة : الأسماء المستعارة :

وفيها يوقع الشاعر على قصيدته ، ولكن باسم مستعار كما في هذه القصيدة التي وقّع تحتها الشاعر باسم « ابن الكنانة » وجعل عنوانها : « فنحن لسنا » « فئة » « وإنما » « اتجاه » وفيها يقول :

يـود لـو يـصـنـع مـن آلامـنـا دمـــــاه
يود لو يحـصى علينا همسـة الشـفـاه
يـود لـو يـنـزع من صـــــدورنـا : « اللـه » !
ونحن أقـوى منه ... من جـمـيـع مـا نواه
بـالـرأي لا بـالـسـوط نبني أمـــة الدعـــاة[2]

الطريقة الرابعة : طريقة التلقين :

وهذه إحدى الطرق التي لجأ إليها الشيخ القرضاوي كما هو معروف عن قصيدته النونية، التي كان الإخوان يحفظونها فور إلقائها في السجن ، وكان السبب في ذلك هو التضييق على المعتقلين من الإخوان ، فكان الشيخ القرضاوي يلجأ إلى هذا الأسلوب لما منع عنه القلم والقرطاس ، فلم يجد إلا أن يقرض الشعر، ويحفظه مجيدو الحفظ من طلبة الإخوان في المعتقل ، حتى أتم الشيخ الملحمة كاملة والتي زاد عدد أبياتها عن الثلاثمائة[3].

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٥.
(٢) انظر : المرجع السابق ص ١٦٣
(٣) انظر : ابن القرية والكتاب ج٢ ص ١٧٠ وما بعدها .

ولهذه الأسباب فقد ضاع من القرضاوي الشاعر قصائد حزن عليها حزناً شديداً ، وتألم لفقدانها ألماً شديداً ، ومن هذه القصائد المفقودة :

١ ـ قصيدة « الدعوة تتحدث عن نفسها » ولم يبق منها إلا القليل من الأبيات، وفيها يقول الشيخ :

يا دعوة الحق قُصِّي ما لقيت ... يؤذى الهدى ويعان الباطل البور
قالت : ولد حق وحق الشرق مكتئب ... وباطل الغرب مسرور ومغرور
لا عدل في الأرض بل ظلم وتفرقة ... والعدل أعظم ما تحوي الدساتير
حق الإباحي محفوظ ومحترم ... وحق الدين مهضوم ومهدور

٢ ـ قصيدة « في ذكرى الهجرة » ومن أبياتها :

سهرت إلى نجم السما أتطلع ... وأصبحت من جام الأسى أتجرع
وما بي هوى ليلى ولا عشق زينب ... و لا غرني قرط وعقد مرصع
ولكنني أهوى العلا في محمد ... وليس لقلبي في سواه تطلع

٣ ـ قصيدة « وداع الشهداء في فلسطين » وقد ضاعت كلها ولم يبق إلا مطلعها وفيها يقول الشيخ :

زملوهم بما بهم من ثياب ... لن يعيب الحسام بالي القراب[1]

٤ ـ قصيدة « نساء اليوم » يرد فيها الشيخ على أعضاء الجمعيات النسائية اللائي طالبن بحذف « نون النسوة » من لغة الخطاب ، وبقي من هذه القصيدة عدة أبيات سأذكرها عند الحديث عن شمول دعوة الشيخ للمرأة.

٥ ـ قصيدة ذات نزعة فلسفية بعنوان « مناجاة القبر » ولم يبق منها إلا بيتين من مطلعها وهما :

حنانيك ماذا في حناياك يا قبر ... بربك خبر قبل أن يقدح الخُبْر

---

(١) انظر : ابن القرية والكتاب ج١ ص٣٠٧ .

ألا ليت شعري ما تكن ليوسفٍ أروح وريحان أم النار والجمرِ ؟[1]

٦ ـ قصيدة بمناسبة سكنى الشيخ هو وبعض إخوانه في بيت كان مشبوهاً ولم يعرفوا إلا بعد شهر، ولم يبق منها إلا عدة أبيات ، وفيها يقول الشيخ :

إن أنس لم أنس داراً كنت ساكنها تبـأً لسـاكنهـا ، تبـأً لكاريهـا
قد خيم الشر فيها ، واستطال بها زَرع المفاسد إذ دارت سواقيها[2]

٧ ـ قصيدة بعنوان « المولد النبوي » .

٨ ـ قصيدة في رثاء الشيخ المراغي .

٣ـ المسرحية :

كان للنزعة الأدبية التي عرف بها الشيخ منذ صغره – كما ذكرت من قبل – أثر في توجهه إلى خوض غمار الكتابة المسرحية ، وكان الشيخ في ذلك متأثراً بكتابات السابقين وخصوصاً أمير الشعراء أحمد شوقي في مسرحيتيه الشهيرتين « مصرع كليوباترا » و« مجنون ليلى » .

وفي عام ١٩٤٩م تلقفت « كلاب الصيد » من زبانية العهد الملكي مجموعة من شباب الإخوان ، وبالطبع كان منهم الطالب يوسف ، وأودع هو وإخوانه في غياهب السجون ما بين معتقل « هايكستب » ومعتقل « الطور » وكان الشيخ رهين معتقل « الهايكستب » ، وكانت قراءته وقتها في الأدب والتاريخ وخصوصاً كتاب « العقد الفريد » فأثر في نفسه موقف سعيد بن جبير والحجاج ان يوسف الثقفي ، ورأى الشيخ أن قصة سعيد مع الحجاج تمثل موقف الدعاة وقتئذ ومصارعتهم للطغيان ، فكأن التاريخ يعيد نفسه، فتتكرر المأساة ويتجدد الطغيان، ولكنه كما يقول الشيخ: بصورة أعنف وأقسى، وأشد ضراوة ووحشية[3].

(١، ٢) انظر : المرجع السابق ج١ ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .
(٣) انظر : عالم وطاغية ص ٤ .

وقد كُتبتْ هذه القصة مرتين، الأولى في « الهايكستب » وكان الشيخ قد تركها مع بعض إخوانه عند خروجه، فقاموا بتمثيلها عقب الإفراج عن الشيخ .

ولما ضاعت مسودة هذه القصة قام الشيخ بكتابتها مرة ثانية بعد مضي سبعة عشر عاماً في عام ١٩٦٨م ، لأن الظروف وقتها كانت هي نفس الظروف كما كانت من سبعة عشر عاماً أو أشد .

وقد مثلت هذه المسرحية في أكثر من بلد ، وفي عديد من الجامعات المصرية والعربية [١].

وهذا يجعلنا نعرج على حكم التمثيل لنتعرف على رأي الشيخ .

حكم الإسلام في التمثيل :

التمثيل من الوسائل التي استجدت في العصور المتأخرة ، ولذلك وقف العلماء المعاصرون منها مواقف متباينة ، ما بين معارض ، ومؤيد ، ومتوقف ، وكان للشيخ القرضاوي رأي فيه. فما هي هذه الآراء ؟ وما هو رأي الشيخ القرضاوي ؟

أولاً: تعريف التمثيل :

لغة: التشبيه: يقال مثل الشيء بالشيء تمثيلاً وتماثلاً: أي شبهه به وقدره على قدره[٢].

وفي الاصطلاح : تجسيد الحادثة التاريخية أو الواقعة الاجتماعية أو الموقف السياسي أو الفكرة التوجيهية بشخصيات بشرية أو صور مادية وحية[٣] .

ثانياً أهمية التمثيل :

١ ـ جمعه بين خصائص الوسائل اليدوية والسمعية والبصرية في وقت واحد مما زاد إقبال الناس عليه .

---

(١) وأذكر أنني كنت طالباً في جامعة الأزهر فقام اتحاد الطلاب بالإعداد لهذه المسرحية ، وتم إعداد البروفات لها، وبعد تحديد موعد العرض ومكانه ، قام أمن الجامعة بمنع العرض لظروف أمنية !!!!

(٢) انظر : المعجم الوسيط ج٢ ص ٨٥٣ .

(٣) انظر : حكم الإسلام في وسائل الإعلام عبد الله ناصح علوان ط دار السلام ص ٤٠ .

٢ ـ تنوع أشكالها وموضوعاتها ، فمنها المأساة والملهاة والشعبية والهزلية ، ومنها المسلسلة والسلسلة وغيرها مما جذب المشاهدين وأسر أفئدتهم[١] .

حكم التمثيل : لم يجمع العلماء على رأي واحد على التمثيل ويمكن إجمال الأقوال فيما يلي :

* التحريم القطعي لكونه كذباً والكذب حرام ؛ وبه قال الشيخ أحمد الغماري .

* التحريم أيضاً ولكن لكون النبي ﷺ لم يفعله ؛ وبه قال الدكتور عمارة نجيب .

* التحريم أيضاً ولكن لكونه شعاراً تعبدياً للكفار ؛ وبه قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد والشيخ حمود عبد الله التويجري .

* الإباحة بشروط وضوابط ؛ وبه قال الشيخ صالح الفوزان ، والشيخ محمد صالح العثيمين ، والشيخ صالح بن محمد اللحيدان ، والشيخ مصطفى الزرقا[٢] .

ويعد الشيخ القرضاوي من أنصار هذا الرأي ، بل هو من دعاته الأشداء، ونصرائه الأقوياء ، وهو رأيه من بداية مشواره الدعوي ، فيقول حفظه الله في كتاب « الحلال والحرام »: ولا شك أن السينما وما ماثلها أداة هامة من أدوات التوجيه، الترفيه. وشأنها شأن كل أداة ؛ فهي إما أن تستعمل في الخير أو تستعمل في الشر ، فهي بذاتها لا بأس بها ولا شيء فيها . والحكم في شأنها يكون بحسب ما تؤديه وتقوم به .

وهكذا نرى في السينما : أنها حلال طيب ، بل قد تستحب وتطلب إذا توافرت لها الشروط الآتية :

---

(١) انظر : المدخل إلى علم الدعوة د : محمد أبو الفتوح البيانوني ط الرابعة وزارة الأوقاف بقطر عام ١٩٩٧م ص ٣٥٥ .

(٢) انظر : المرجع السابق ص ٣٢٦ ـ ٣٢٩ بتصرف .

أولاً : أن تتنزه موضوعاتها التي تعرض فيها عن المجون، والفسق، وكل ما ينافي عقائد الإسلام وشرائعه وآدابه.

ثانياً : ألا تشغله عن واجب ديني أو دنيوي ، وفي طليعة الواجبات الصلوات الخمس .

ثالثاً : أن يتجنب مرتادها الملاصقة والاختلاط المثير بين الرجال والنساء الأجنبيات منهم [١].

رابعاً : أن يكون عددها معقولاً وملائماً لمجتمع جاد ، لا مجتمع عابث .

خامساً: ألا تتخذ أعشاشاً للغرام ، وأوكاراً للمتفلتين والمتفلتات من قيود الفضيلة .

سادساً: ألا تتخذ وسيلة لابتزاز أموال الشعب نتيجة لاحتكار طائفة من الناس لها[٢].

ولقد كان للشيخ فتوى يبيح للمرأة التمثيل فضلاً عن الرجل ، وقد نشرت مجلة المجتمع الكويتية[٣] تفصيل هذه الفتوى ، وقد تلقف البعض هذه الفتوى بكثير من « الطقطقة »، وعظيم من « الشنشنة » وببالغ الإثارة و« الزوبعة »، متهمين الشيخ بالتسيب والتفريط .

وقد كان مجمل فتوى الشيخ ومضمونها: أنه يرى تمثيل المرأة أمر ضروري، وأن أي عمل درامي هادف لا توجد فيه المرأة فهو عمل غير منطقي، واستدل الشيخ لرأيه بورود المرأة في القصص القرآني كما هو الحال في قصة آدم وحواء ، ونوح وامرأته ، ولوط وزوجته ، والخليل وزوجته ، وانتهاء بعيسى وأمه ، ووضع الشيخ شروطاً وضوابط أجملها فيما يلي :

* أن يكون اشتراكها في التمثيل ضرورياً .
* أن تظهر بلباس الإسلام ولا تضع المساحيق .

---

(١) انظر : الحلال والحرام ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

(٢) انظر : بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين ص ٢١٠ .

(٣) انظر : مجلة المجتمع الكويتية عدد ١٣١٩ ، وكان الشيخ قد قال ذلك في ندوة تحت عنوان «العلاقة بين الفقه المعاصر والإعلام المتميز » .

* أن يراعي المخرج والمصور عدم إبراز مفاتنها والتركيز عليها أثناء التصوير.

* أن تتفوه بالكلام الحسن ، وتبتعد عن الكلام الفاحش والبذيء ، وتبتعد عن مشاهد الانحراف والمجون في أعمالها .

تعليق على فتوى الشيخ :

ومع كامل احترامنا للشيخ وبالغ تقديرنا له، فإني أخالفه الرأي في هذه القضية، ولا أوافقه تماماً فيما ذهب إليه ، وأحسب أن الشيخ سيتسع صدره لمثل هذا .

وبمناقشة فتوى الشيخ نتساءل بداية ما هي الضرورة التي تستوجب عمل المرأة في التمثيل ؟ هل هي ضرورة شخصية ؟ هل ضرورة اجتماعية ؟ هل ضرورة دعوية ؟ أم ماذا ؟

ثم ما هو المنطق الذي يجعل أي عمل درامي يخلو من العنصر النسائي عملاً غير هادف ؟!

ثم إن هذه الشروط والضوابط التي ذكرها الشيخ لا تلتزم بها أي ممثلة حتى من سمعن فتوى الشيخ ، أو ادعين أنهن يعملن بها .

إننا بحاجة فعلاً إلى عمل درامي هادف يجسد الأحداث التاريخية ، والوقائع الاجتماعية ، ويصور المواقف السياسية ، والأفكار الاجتماعية ، ويعرف الناس بالأخلاق الاجتماعية ، لكن لا حاجة في كل هذا إلى ظهور المرأة ، وإنما يكتفى مثلاً برواية كلامها، أو حكاية حديثها، كما هو الحال عند تمثيل قصة نبي من الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، أم أن قصص الأنبياء لتكون عملاً درامياً هادفاً يستلزم فيها ظهور الأنبياء ؟!!

ثم إن الشيخ حفظه الله حين أباح عمل المرأة كما هو منتشر في عدد من كتبه، ذكر أن عمل المرأة مقيد بشروط وعدَّد منها :

١ – أن تكون محتاجة إليه كأن تكون أرملة أو مطلقة ، أو لم تتزوج بعد ولا عائل لها .

٢ – أن يكون المجتمع نفسه في حاجة إلى عمل المرأة كما في تطبيب النساء وتعليمهن[١].

---

(١) انظر : ملامح المجتمع الذي ننشده ص ٣٩١ وما بعدها بتصرف .

وقد كان للشيخ حفظه الله كلاماً رائعاً أرى أنه يخالف ما ذهب إليه مؤخراً، فقد قال حفظه الله في الجزء الأول من الفتاوى وهو يتحدث عن الغناء واحترافه : وإذا كان هذا في مجرد « السماع » « أي التشديد على سماع الأغاني الهابطة » فإن الأمر في « الاحتراف » بالغناء يكون أشد؛ لأن الاندماج في البيئة الفنية كما تُسمى خطر شديد على دين المسلم؛ يندر أن يخرج منه سالماً معافى.

ولهذا كان الأولى بالمسلم الحريص على دينه أن يأخذ بالعزيمة لنفسه، وأن يتقي الشبهات، وينأى بنفسه عن هذا المجال الذي يصعب التخلص فيه من شائبة الحرام إلا ما نذر.

ومن أخذ بالرخصة فليتحر لنفسه وليتخير ما كان أبعد عن مظان الإثم ما استطاع .

هذا في الرجل ، أما المرأة فالخطر منها وعليها أشد ، ولذا فرض الله تعالى عليها من التصون والتحفظ والاحتشام في لبسها ومشيها وكلامها ما يباعد الرجال من فتنتها ، وما يباعدها من فتنة الرجال ، ويحميها من أذى الألسن ، وشره الأعين ، وطمع القلوب المريضة كما قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ** ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وقال: ﴿ **فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ** ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

واحتراف المرأة للغناء يعرضها لأن تَفْتن أو تُفتن، ويورطها في محرمات قلما تستطيع التغلب عليها ، من الخلوة بالأجنبي للتلحين ، أو التسجيل ، أو التعاقد أو غيرها، ومن الاختلاط بالنساء المتبرجات « المتحررات » من المسلمات بالوراثة، ومن غير المسلمات وهو محرم أيضاً (١).

هذا هو كلام الشيخ في « القديم » وهو يعارض ما ذهب إليه في « الجديد »، وينبغي علينا أن ننبه إلى ما يدور وراء « الكواليس » كما يقال؛ بعيداً عن عين الرقيب، داخل، « الأستوديوهات » وداخل ما هو داخل « الأستوديوهات » ناهيك عن الجو العام الذي يعيشه أهل الفن والطرب ؛ أسأل الله لنا ولهم الهداية.

---

(١) انظر : فتاوى معاصرة ج١ ص ٦٩٢-٦٩٣ .

٤ - البيانات :

من الوسائل الدعوية التي استجدت في الحقبة الماضية ما يعرف بالبيانات ، والبيان عبارة عن كلمة مكتوبة أو خطبة مسموعة يصدرها عالم أو فقيه، أو هيئة أو جماعة لتعبر عن رأيها في قضية ما ، ويوزع البيان على المجامع والمحافل والإذاعات والمحطات المتلفزة ، ليعرف الناس ما يتعلق بهذا الأمر .

وللشيخ قدم السبق في هذا المضمار ، ولذا تراه إذا أصابت الأمة جائحة - وما أكثرها - تراه ينبري ليصدر بياناً يعبر فيه عن موقفه كعالم مسلم . وقد يجمع الشيخ على بيانه عدداً من الدعاة والعلماء والمفكرين..

ومن أشهر بيانات الشيخ: بيان مقاطعة البضائع الأمريكية، وبيانه الذي نعى فيه الشيخ أحمد ياسين رحمه الله[١].

٥ ـ الرسائل :

المراسلة وسيلة من الوسائل الدعوية التي تعارف عليها الدعاة منذ القدم ، وكتب التاريخ والسير تقص علينا مكاتبة رسول الله ﷺ للملوك والأمراء والعظماء، حيث كتب ﷺ إلى كسرى وقيصر والنجاشي وعظيم القبط وغيرهم.

ولا تزال هذه الوسيلة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، غير أن هذه الوسيلة الدعوية ليست قاصرة على المؤمنين، فلا مانع من أن تكون المراسلة بين أهل الإيمان وأصحاب الدعوة وغيرهم .

وقد سلك الشيخ هذه الوسيلة فكتب إلى كثيرين من أهل الدعوة وغيرهم، ومن أشهر رسائل الشيخ ما كتبه إلى العلامة الهندي الرجل الرباني « أبي الحسن الندوي » وكذلك ما كتبه الشيخ في رده على رسالة وجهت إليه من الكاتب « أسامة أنور عكاشة »[٢] ، وهذه مقتطفات من رسالة الشيخ إلى العلامة أبي الحسن الندوي :

أستاذنا الجليل : إن الحديث إليكم بل الحديث عنكم ليعذُب ويحلو ،

---

(١) هذان البيانان وغيرهما من أراد الاطلاع عليها فليراجع موقع فضيلة الشيخ.

(٢) الكاتب المصري «أسامة أنور عكاشة»، معروف في الوسط الفني بكتابة المسلسلات والقصص والروايات، ومن آخر أعماله مسلسل «عمرو بن العاص» وقد تطاول في أحد تصريحاته على سيدنا عمرو بن العاص، ورفع عليه أحد المحامين المصريين قضية ما زالت إلى الآن في أروقة المحاكم.

ولكن الاستماع إليكم أعذب وأحلى ، وإذا كان لمثلي عدة يعتد بها فهي حب الصالحين الربانيين من أمثالكم على نحو ما قال الأول :

أحب الصالحين ولست منهم عساني أن أنال بهم شفاعة
وأكره من بضاعته المعاصي وإن كنا سواء في البضاعة

فعسى أن يكون من ثمرات حبكم في الدنيا دعوة منكم صالحة بظهر الغيب ، وفي الآخرة شفاعة حسنة عند الله[1] .

ومن أشهر رسائل الشيخ رسالته إلى الرئيس الفرنسي جاك شيراك والتي وجهها إليه بعد منع فرنسا للحجاب، جاء فيها:

سيادة الرئيس:

إنني باسمي واسم هؤلاء أعلن شديد أسفي، لما قرأناه وسمعناه من توجه فرنسي لمنع الطالبات المسلمات من ارتداء الحجاب في المدارس، وهو ما أستغربه كل الاستغراب، وأنكره غاية الإنكار، فهو يجبر المسلمة أن تخالف دينها ، وتعصي أمر ربها الذي قال في كتابه: ﴿ **يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ** ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، ووجوب الحجاب على المرأة المسلمة أمر أجمعت عليه كل المذاهب والمدارس الإسلامية سنية وشيعية وزيدية وأباضية.

وقد ساءنا وآلمنا أن يصدر هذا التوجه - الذي لا نملك أن نصفه إلا بالتعصب ضد التعاليم الإسلامية ، والقيم الإسلامية - من فرنسا خاصة ، بلد الحرية والانفتاح ، وأم الثورة التي نادت بالحرية والمساواة والإخاء، والتي فيها أكبر مجموعة إسلامية في أوربا.

فهذا التوجه ينافي حريتين أساسيتين من الحريات التي هي من حقوق الإنسان : الحرية الشخصية، والحرية الدينية . وقد أكدتهما كل الدساتير ومواثيق حقوق الإنسان .

٦ ـ الشبكة العالمية للمعلومات « الانترنت »:

الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ، لا يحدها زمان ، ولا يقيدها مكان ، وهذا

---

(١) انظر : الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته ص ٢١٢ ، ٢١٣ .

ما أكده القرآن في بدايات تنزيله ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال جل شأنه : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ [الفرقان: ١] . .

والشيخ القرضاوي يؤمن بعالمية الدعوة كما يؤمن بها كل مسلم ، وقد عبرت كلمات الشيخ عن هذه العالمية ، كما ترجمتها أشعاره التي تغنى بها الشباب المسلم في كل مكان ، لذا يقول الشيخ :

يا أخي في الهند أو في المغرب أنا منك أنت مني أنت بي
لا تسل عن عنصري عن نسبي إنه الإسلام أمي وأبي (١)

ولما ظهر في الآونة الأخيرة ما عرف بالشبكة العنكبوتية أو المعلوماتية « الإنترنت » عمل الشيخ متحمساً لإيجاد موقع يتحدث إلى المسلمين وإلى غير المسلمين عن الإسلام وخصائصه ، فأنشأ الشيخ هو والمخلصون من إخوانه الموقع العالمي « إسلام أون لاين » "islam-online.com" وتم افتتاح هذا الموقع في يوم ٤ / ١٠ / ١٩٩٩م وقدم الشيخ كلمة الافتتاح - والتي تعتبر من الكلمات التاريخية - وقد أوضح فيها الملامح العشرة لهذا المشروع .

والشيخ هو رئيس مجلس إدارة هذا الموقع ، وهو المشرف عليه ، ولا يخلو محور من محاور الموقع إلا وللشيخ فيه كلمة أو حكم أو فتوى أو استفسار .

كما أن للشيخ موقعاً خاصاً به على الإنترنت، تعرض عليه كتبه وكلماته وخطبه ومحاضراته وهو « القرضاوي نت » . "www.qaradawi.net.com"(٢).

---

(١) انظر : نفحات ولفحات ص ١١٢ .

(٢) أعلنت الدار العربية للعلوم، ناشرة مجلة إنترنت وورلد (الطبعة العربية)، نتائج استفتاء لمعرفة خيار القراء في مجال منتجات وخدمات الإنترنت في العالم العربي، والذي استمر على مدى أربعة أشهر، وقد نال موقع القرضاوي جائزة أفضل المواقع الشخصية العربية، مما يشير إلى شعبية الموقع بين متصفحي الإنترنت واهتمامهم به.
كما فاز الموقع أيضا بجائزة أخرى في فبراير (٢٠٠٥م).

٧ - المقالات الصحفية :

من الوسائل التي جدت في القرنين الماضيين الصحف والمجلات ، وقد انبرى كثير من الدعاة عبر هذه الوسيلة يزودون عن الشريعة ويوضحون محاسنها ، وكان من هؤلاء مصطفى صادق الرافعي ، ومحمد عبده ، ومحمد رشيد رضا ، وحسن البنا ، وعلي الطنطاوي ، ومحمد الغزالي وغيرهم كثير ، ورأى الشيخ القرضاوي أن هذا منبر جديد ينبغي ألا يترك لأعداء الله يصولوا فيه ويجولوا ، دون رادع يردعهم أو زاجر يزجرهم .

وقد ملأت كلمات القرضاوي وكتاباته الصحف والمجلات المصرية والعربية، وعدداً لا بأس به من المجلات غير العربية: بل زينت مقالاته هذه الصحف، وتحلت بها هذه المجلات، وألبستها حللاً من سندس وإستبرق .

ومن المجلات التي قامت بنشر مقالات الشيخ على سبيل المثال :

مجلة « الأزهر » و « نور الإسلام » و « منبر الإسلام » و « الدعوة » و« الشعب » و « الأهرام » و« آفاق عربية » و « لواء الإسلام » و« الاعتصام » وغيرها في مصر، و« حضارة الإسلام » بدمشق و « الوعي الإسلامي و « المجتمع » و« العربي » بالكويت، و « الشهاب » ببيروت ، و« البعث الإسلامي » بالهند ، و« الدعوة » بالرياض، و« الدوحة » و« الأمة » في قطر، و« منار الإسلام » في أبو ظبي ، و« المسلم المعاصر » وغيرها (١).

وبعض هذه المقالات قام الشيخ بجمعها في كتاب واحد كما هو الحال في كتابه القيم « من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا » .

والمتأمل لمقالات هذا الكتاب يجد أن كل عنوان من هذه العناوين يصلح لأن يكون كتاباً وحده ، كما يلحظ القارئ قوة في الأسلوب ، وشدة في البيان ، يأمل الشيخ من خلالها إلى إيجاد صحوة إسلامية حقيقية أصيلة ، تتميز بالرشد

---

(١) انظر : نفحات ولفحات ص ١٩ .

والنضج والاستنارة ، صحوة عقول ذكية ، وقلوب نقية ، وعزائم فتية ، صحوة تعرف غايتها وتعرف طريقها ، تعرف من لها ، ومن عليها ، من هو صديقها ، ومن هو عدوها .

صحوة تعمل على تجديد الدين ، وإنهاض الدنيا به ، صحوة تصحح المفاهيم المغلوطة، وتقوم المسالك العوج ، وتوقظ العقول النائمة ، وتحرك الحياة الراكدة، وتنفخ الروح في الجثة الهامدة ، فتعيد إليها الحياة والحركة والنماء[1].

وهذه بعض عناوين هذه المقالات :

١ – الإسلام والتطور .

٢ – لا بد من مقياس نحتكم إليه .

٣ – طريق لا طريق غيره .

٤ – هذه الأمة لن تموت .

٥ – أمنية عمرية أو حاجتنا إلى رجال .

٦ – كافحوا الأمية .

كما أن هناك كتباً أخرى أصلها مقالات جمعت فيما بعد لتضم إلى مكتبة الشيخ ومنها :

١ ـ «الدين في عصر العلم» وهو عبارة عن مقالات نشرت في مجلة منار الإسلام الإماراتية ، ثم نشر في بحث مستقل مع المجلة ، وقد جعله الشيخ الفصل الأول من كتاب بينات الحل الإسلامي .

٢ ـ «مستقبل الأصولية الإسلامية» وهو مشاركة صحفية في جريدة الشرق الأوسط في ملف افتتحته الصحيفة المذكورة تحت عنوان «مصير الأصولية» في عام ١٤١٣ هـ.

* * *

(١) انظر : من أجل صحوة راشدة ص ٧ .

المبحث الثاني

الوسائل والأساليب المسموعة

١ـ المسجد :

كان للمسجد دور عظيم منذ فجر الدعوة الإسلامية ، وكم ربى المصطفى ﷺ رجالاً وأبطالاً في ساحة المسجد ، ومن من الناس لا يذكر الجيل الأول الذي تربى على ترتيل القرآن ، وسماع الأذان ، وخشوع الجوارح ، وخضوع القلوب ، وسح الدموع في مسجد رسول الله ﷺ .

لقد كان النبي ﷺ يعقد في المسجد حلق العلم ودروس التعلم ، كما كان يستقبل فيه الوفود ، ويجيش فيه الجيوش ، ويرسل السرايا ، ويعلم الناس معالم الخير .

وظل للمسجد دوره في حياة الأمة حتى كانت فترات الخمود والجمود ؛ فعزل المسجد عن دوره ، وقنعوا له بإقامة شعيرة الصلاة فقط ؛ فخلا المسجد من حيويته التي أعد لها .

ثم كان للمسجد دوره بعد ذلك في إيقاظ الأمة، وتحريك الهمة في نفوس الناس، كما رأينا المسجد مؤخراً؛ فهو مفجر الثورات ، ومحرر الشعوب، وهل انطلقت انتفاضة شعب فلسطين إلا من المساجد ؟ وهل حرك الجهاد الأفغاني إلا من على المنابر ؟

والشيخ القرضاوي يدرك جيداً دور المسجد ، فليس المسجد قاصراً عنده على الدور التعبدي فحسب ؛ ولكنه يرى بأن المسجد :

١ ـ جامعة شعبية للتثقيف والتهذيب تسع الجميع في رحابها في الليل وفي النهار ، والصيف والشتاء ، ولا ترد طالباً ، ولا تشترط رسوماً ، ولا تضع قيوداً ولا عراقيل ، جامعة تعلم :

* قواعد العقائد .

* وفرائض العبادات .
* ومكارم الأخلاق .
* ومحاسن الآداب .
* وطرائق المعاملات .

٢ ـ برلمان محلي للتشاور والتفاهم ، وأي برلمان كهذا ونوابه هم : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ﴾ [التوبة ١١٢] .

٣ ـ مؤتمر للتعارف والتحاب ، وأي مؤتمر كهذا الذي يجمع فيه :
* خلاصة الحي في كل صلاة .
* وصفوة البلد في كل جمعة .

٤ ـ معهد للتربية الأساسية : إنه حقل تجرب في ساحته تعاليم الدين النظرية ، وتوضع مبادئه الإنسانية موضع التنفيذ ، وهل تعلم الناس الحرية والإخاء والمساواة إلا في المسجد ؟[١]

وإذا كان هذا هو المسجد فينبغي أن تكون له رسالة واضحة المعالم ، إنها كما يقول الشيخ القرضاوي : رسالة أساسية في الحياة الإسلامية ، فهو يقوم بمهمة كبيرة : دعوية وتثقيفية وتربوية[٢]، ووظيفة اجتماعية، ففيه يلتقي أهل الحي فتتعارف وجوههم، وتتقارب قلوبهم ، وتتصافح أيديهم ، وتقوى روابطهم[٣] .

كان اعتراض الشيخ اعتراضاً قوياً على من يحاول اختزال دور المسجد في مجرد أداء صلاة فحسب فيؤكد الشيخ بأن المسجد : ليس ديراً لرهبنة ، ولا زاوية للمتعطلين ، ولا تكية للدراويش ، فليس في الإسلام رهبنة ولا دروشة [٤].

وانطلاقاً من هذا الدور البالغ الأهمية كان للشيخ أثر واضح في المسجد

---

(١) انظر : العبادة في الإسلام ص ٢٣٦ وما بعدها بتصرف.
(٢) انظر : خطب القرضاوي ج٢ ص ٩ .
(٣) انظر : الضوابط الشرعية لبناء المساجدص٦ .
(٤) انظر : العبادة في الإسلام ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

أينما كان ، وكان له بالمسجد ارتباط قوي ؛ فهو يرى أن المسجد هو مصنع الرجال، لذا تراه يقول :

لا بد من صنع الرجال ومثله صنع السلاح
وصناعة الأبطال علم في التراث له اتضاح
من لم يلقن أصله من أهله فقد النجاح
لا يصنع الأبطال إلا في مساجدنا الفساح
في روضة القرآن في ظل الأحاديث الصحاح[1]

ولما انقطع الشيخ عن مسجده في الدوحة بسبب المرض وسفره للعلاج في ألمانيا ، اشتاقت نفسه للمسجد وأهله ، فأرسل لهم قصيدة جاء فيها :

يا إخوة في رضا ربي عرفتهمو في دوحة الخير يا حياكم الله
هلا بعثتم شعاعاً من مساجدكم تلوح لنا في «بون» أضواه ؟
فلا أذان ولا قرآن نسمعه ولا تراويحنا واحرَّ قلباه[2]

وقد اهتم الشيخ بالمسجد ودوره البالغ وكان من وسائل الشيخ الدعوية داخل المسجد ما يلي :

أ ـ الخطب :

تعد الخطبة من أقدم الوسائل الدعوية وأنجحها ، ، يأتي الناس لها طواعية مختارين ، وقد اشتهر في القديم وفي الحديث خطباء بارعون ، هزوا أعواد المنابر ، فأطرقت لهم الرؤوس واشرأبت لهم الأعناق وسكنت لهم النفوس ، وانقادت لهم الجوارح والأبدان .

ومن منا لا يذكر علي بن أبي طالب، والأحنف بن قيس، وطارق بن زياد، وابن أبيه ، والحسن البصري، وابن الجوزى، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين .

والشيخ القرضاوي حفظه الله فارس في هذا الميدان ، منذ أن اعتلى المنبر وهو في العقد الثاني من عمره إلى وقتنا هذا، وهو في العقد الثامن من عمره

---

(١) انظر : نفحات ولفحات ص ٩٥ .
(٢) انظر : المرجع السابق ص ١٠١ .

– أطال الله في عمره – تسمعه فكأنما تسمع شابا لم يتجاوز الثلاثين أو الأربعين كأنما هو أسد يزأر ، أو سيل يزحف .

وإذا خطب الشيخ في الجلوس جثوا على ركبهم جثيا، وزحفوا إليه زحفا، فتسكن الأسماع، وتحلق الأرواح ، وإذا تحدث خطف الأضواء ، وجذب الأسماع، وجلب الأبصار ، وسحر العقول ، وأخذ الأفئدة والقلوب، وتحسب حين تسمع القرضاوي أنه قد رضع حقاً من أسداء الشريعة الغراء، وتضلع من صدر الملة السمحاء.

وقد ساعد الشيخ على ذلك علمه الغزير وثقافته الواسعة الشرعية وغير الشرعية، وموضوعاته الغنية، ولغته الجميلة ، وعرضه الرائع ، ولهجته الصادقة، ولسانه الفصيح ، وصوته القوي ، وأسلوبه الرصين ، وذاكرته القوية .

إنه إذا خطب يخيل إليك أنه ينتقي ألفاظه انتقاء ، وكأن الكلمات بين يديه يأخذ منها ما يشاء ويدع ما يشاء ، مما يزيده رباطة في جأشه ، وقوة في قلبه ، وثقة في نفسه .

وللشيخ قدرة غريبة في استحضار الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، فضلاً عن أقوال العلماء، وحكم الحكماء، وأشعار السابقين، وتجارب اللاحقين .

وأعجب ما في خطب الشيخ : أنه يجمع بين فقه الفقيه، وبلاغة الأديب، وحرارة الداعية، وروح المربي، وأصالة العالم، ورواية المحدث، وحس المؤرخ، ودقة المناظر، وترتيب المحاضر، فترى كلماته كأنها كائن حي ، كأنما هي طائر له أجنحة، أو إنسان له قلب يخفق، ولسان ينطق .

وعلى بلاغة الشيخ وأدبه ، فإنك لا ترى في خطبه سجعاً متكلفاً ، ولا ألفاظاً غريبة، ولا جملاً غير مرتبطة ، بل هي قطع من الأدب دونما تكلف أو نصب .

وخطب الشيخ ليست من الخطب الموسمية ، التي لا تنفك عن مواسم العام؛ فخطبة عن الهجرة وأخرى عن المولد النبوي وثالثة عن الإسراء والمعراج وهكذا ، لا ؛ ولكن خطب الشيخ تراها خطباً تثبت العقيدة ، وتصلح العبادة ، وتقوم الأخلاق ، وتبين أسس التعامل بين الناس .

إنها خطب تمس الواقع فى كل مجالاته الفردية والأسرية والاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية فتعالج أمراضه ، وتقوم اعوجاجه ، وتصحح أخطاءه ، تشد على يد التائب ، وتأخذ بيد العاصي ، وتوجه المخطئ ، وتوقظ النائم ، وتحرك الراكد ، وتنبه الغافل ، وترد الشارد ، وتعلم الجاهل ، وتهدي الحائر ، وتبصر العمي ، وتنفخ الروح في الجثث الهامدة .

إنها خطب : « تقدم الدين عقيدة سليمة ، وعبادة خالصة ، وأخلاقاً فاضلة، وآداباً سامية ، وأعمالاً صالحة ، وتشريعات عادلة ، وعلوماً نافعة ، وفنوناً راقية ، وحضارة متوازنة »(١) .

وأبرز ما في خطب الشيخ أنه لا ينكفئ على القديم دون أن يعرّج على الجديد ، بل هو دائم التجديد في خطبه ، باحث عن مشاكل أمته ، لينوه عليها، داعياً مستمعيه إلى مشاركة إخوانهم في مصائبهم ، ومعايشتهم في مآسيهم ، فتراه تارة يذكر بقضية فلسطين وتارة بقضية الأفغان ، وثالثة بالعراق ، ورابعة بكشمير، وخامسة بتركيا ، وسادسة وسابعة ، ثم يعود أدراجه ليعود إلى قضية فلسطين والأقصى من جديد .

إن خطب القرضاوي ليست مجرد كلام يقال ، بل هي تربية وتعليم، وترشيد وتفهيم، وبيان وتعريف وتفقيه وتثقيف، وكلها تنبع من واقعه الذي يحياه ، وآلامه التي يعيشها ، ومن ثم فهو يعيش الخطبة بقلبه وعقله ، ويحياها بعواطفه وجوانحه ، فإذا تكلم تكلم بعروقه ودمه ، وإذا تحدث تحدث بشرايينه وقلبه ، وهذا ما يظهر في قسمات وجهه ، وبريق عينيه ، وعبرات لسانه ، ونبرات صوته ، وحركات يديه ، وإشارات أصابعه .

ومن ثم تراه يُضحك جمهوره تارة ، ويبكيهم تارة أخرى ، ربما في خطبة واحدة ، دونما تكلف مصطنع ، أو تصنع متكلف .

والحق أن الخطابة عند القرضاوي : نداء صارخ ، وصوت قوي ، من قلب مهموم، وفؤاد مكلوم، ،هى علم نافع، وثقافة هادية، من عقل بصير، وفؤاد مستنير، ولب ملهوف ، وشخص مشفق محب، وإنسان ناصح أمين، إلى قلوب

---

(١) انظر : خطب القرضاوي ج١ ص ٩ .

شاردة، وأشخاص غافلة، إنها كلمات مدوية، وصيحات عالية، وصرخات ملتهبة قوية، إلى كل فرد من أفراد هذه الأمة ليفيقوا أو ينتبهوا .

مميزات الخطبة عند القرضاوي:

للخطابة من القرضاوي مميزات عدة ؛ ومن أهم هذه المميزات :

١ – ارتباط الخطبة بالواقع الذي يعيشه المسلمون .

٢ – اشتمال الخطبة على أهم قواعد الدين ، من عقيدة سليمة ، وعبادة خالصة ، وأخلاق فاضلة ، وآداب سامية ، وأعمال صالحة ، وتشريعات عادلة ، وحضارة متوازنة .

٣ – الجمع بين الأصالة والمعاصرة .

٤ – توثيق الخطبة بالأدلة الموثقة .

٥ – البعد عن إسرائيليات التفسير ومنكرات الحديث ، وخرافات العوام وأوهام الخواص.

٦ – الاعتدال والوسطية في عرض القضايا بعيداً عن غلو المغالين وتفريط المتسيبين.

٧ – الأسلوب الأدبي الرصين .

٨ – الأداء الحي الفعال .

٩– مخاطبة العقل وتحريك العواطف .

١٠ – التعريج على مشاكل الأمة وقضاياها .

١١ – التنوع في الموضوعات .

١٢ – الغزارة في الأدلة .

١٣– البعد عن المسائل الفرعية الخلافية .

١٤ – استقلاله بذاته وعدم تقليده لأحد .

١٥– الشمول .

١٦ – عدم التكلف أو الاصطناع .

١٧ – رد شبه المتطاولين من الكفار والملحدين والمنافقين .

« مشوار» القرضاوي الخطابي :

مشوار الشيخ الخطابي طويل ، بدأه الشيخ في قريته « صفط تراب » واستمر المشوار حتى انتهى به المطاف في مسجد عمر بن الخطاب بقطر ، مروراً بمسجد آل طه في المحلة ومساجد القاهرة وساحات المعتقلات ومسجد أبي بكر الصديق بقطر.

ويذكر الشيخ أن أول خطبة منبرية له كانت في السنة الرابعة من المرحلة الابتدائية، وطلب من الشيخ أن يلقي خطبة في أحد مساجد قريته « مسجد المتولي » بعدما عرف الشيخ بإلقاء الدروس ، فأعد الشيخ خطبة كتب الله له فيها التوفيق ، كانت تحت عنوان « الشكر لله » وقد أثنى الناس خيراً على الشيخ ، ويرجع ذلك لكونه لم يقلد أحداً لكنه تقمص شخصيته هو(١).

وأخذ الشيخ يتنقل بين مساجد القرية كلما سنحت له فرصة ، وقد ساعده على ذلك انضمامه لجماعة الإخوان المسلمين ، فاعتبروه داعية من دعاتها يجوب القرى والمدن فيما عرف وقتها بمديرية الغربية .

وبعد انتقال الشيخ إلى القاهرة بعد إتمام المرحلة الثانوية ، كثرت أعباؤه ومتطلباته، ففكر الشيخ في البحث عن عمل ليفي بحاجاته وأشار عليه صديقه « محمد الدمرداش » بالتقديم في وزارة التربية والتعليم للعمل كمدرس ، لكن الشيخ رفض هذا الاقتراح حتى لا ينقطع عن القاهرة مركز الدعوة والنشاط والحركة .

فدله بعض إخوانه على مسجد يبنى بالمحلة الكبرى على أن يكون خطيباً فيه ، فذهب الشيخ إلى القائمين على المسجد وهم أسرة « آل طه » ، وتم افتتاح المسجد ، وبدأت الأقدام تصطف في داخل المسجد وخارجه ، حتى تم بناء مبنى آخر من عدة طوابق بجوار المسجد ، حتى غدا المسجد يطلق عليه « مسجد الشيخ يوسف » بعد أن أصبح الناس يتوافدون عليه من طلخا ، ودمنهور ، وطنطا، والمنصورة (٢).

---

(١) انظر : ابن القرية ج ص ١٧٨ ، وخطب الشيخ القرضاوي ج١ ص ٥ .

(٢) انظر : ابن القرية ج١ ص ٤٤٤ ، وخطب الشيخ القرضاوي ج١ ص ٦ .

وكان من رواد المسجد الأديب الشاعر « محمد حوطر» وكان يسجل خطب الشيخ بقلمه الرصاص ، وكان له طريقة خاصة في الاختزال ، ثم يبيض الخطبة في المساء ، وقد تجمع للشيخ عدد لا بأس به من الخطب ، فأشار عليه البعض بأن يطبعها فأعدها الشيخ للطبع بعد التنقيح والترتيب وسماها « نفحات الجمعة »[١] لكنه لم ير النور ، بل ذهب مع ما ذهب عند حل جماعة الإخوان الأول عام ١٩٥٤ م[٢].

وبعد إتمام الشيخ دراسته تم تعيينه خطيباً بجامع الزمالك سنة ١٩٥٦ م ، وكان وزير الأوقاف وقتها الشيخ أحمد حسن الباقوري ، فتم تعيين الشيخ الغزالي في الجامع الأزهر على أن يحل القرضاوي مكانه في مسجد الزمالك ، وكان اختيار القرضاوي لهذا المسجد لشعور المسؤولين بشدة الحاجة إلى خطباء مرموقين يعملون على رفع الروح المعنوية لدى الشعب ، ويشعلون جذوة الحماس في صدره ، ويبعثون الأمل في نفسه ، ويمحون اليأس من قلبه وذلك بعد العدوان الثلاثي على مصر .

وقد استمر الشيخ في هذا المسجد سنة ونصفاً ، ثم حيل بعدها بين الشيخ وبين أي عمل حكومي في أي مجال يتصل بالجماهير .

ومنذ أن قدم الشيخ إلى قطر في عام ١٣٨١هـ-١٩٦١م بدأ يزاول مهمته ورسالته ، واعتلى المنابر من جديد ، ولم تكن الخطبة منتظمة في بداية حياته في قطر ، ولما أنشئ مسجد « أبو بكر الصديق » أسندت الجمعة فيه إلى الشيخ ، واستمر به إلى أنشئ مسجد « عمر بن الخطاب » فنقل إليه الشيخ خطيباً مفوهاً، ومتحدثا مؤثراً ، و أسداً هصوراً إلى يومنا هذا حفظه الله تعالى [٣].

وقد شرع أحد تلاميذ الشيخ ومحبيه بجمع هذه الخطب وهو الدكتور خالد السعد ، فقام بتفريغها وتخريج أحاديثها، والتعليق عليها أحياناً ، وقد خرج منها سبعة أجزاء حتى اليوم[٤].

---

(١) تم العثور عليه مؤخرا، ومعظم خطب الجزء السابع منه.

(٢) انظر : ابن القرية عدد٢٢ ، وخطب الشيخ القرضاوي ج١ ص ٦ .

(٣) انظر : خطب الشيخ القرضاوي ج١ ص ٦ ، ٧ .

(٤) ستة أجزاء من إعداد الأخ الدكتور خالد السعد ، والجزء السابع من إعداد العبد الفقير كاتب هذه السطور.

من طرائف خطب القرضاوي :

لكل خطيب وداعية مواقف ترى فيها العجائب والغرائب ، تارة في الموضوع ، وتارة في المكان ، وأحياناً في السبب ، وربما في كيفية معالجة أمر طارئ ، ومن طرائف خطب الشيخ : أن خُيِّر بين الخطابة أو الغناء ، فاختار الخطابة ، وكانت هذه الخطبة في « السجن الحربي » حين عاد الشيخ وإخوانه من إحدى المحاكمات ، وجمع حمزة البسيوني من حوكم ومن لم يحاكم بعد ، ثم قال لهم : تريدون أن تجعلوا من أنفسكم أبطالاً ؟ أنا هنا القانون ، ثم التفت إلى القرضاوي وقال : رايح تخطب لي في المحكمة وتنكر ما نسب إليك؟ فاخطب لي الآن خطبة ؟

فقال القرضاوي : المجال ليس مجال خطابة .

قال : اختر واحدة من اثنتين : إما أن تخطب وإما أن تغني ؟

وتحت تسلط وجبروت حمزة البسيوني اضطر الشيخ إلى إلقاء خطبة تحدث فيها عن أسباب البلاء وأسباب رفعه ، ثم انتهى ، فسكت البسيوني ، وانفض الجمع (١).

القرضاوي يخطب جالساً :

ولما طال العمر بالشيخ ـ أسأل الله أن يطيل عمره وأن يحسن عمله ـ واشتد ألم ركبته عليه ، اضطر الشيخ إلى أن يخطب جالساً ، بعد أن أخذ يصلي جالساً منذ فترة طويلة، ولما تم إجراء عملية للشيخ في ركبته أصبح بعد ما لا يخطب إلا جالساً ، ومع طول عمر الشيخ ، وألم ركبته ، واضطراره إلى الخطبة جالساً ، إلا أن حماسة الشيخ، وصرخاته الملتهبة ، ونبرته القوية ، وصيحاته العالية ، وكلماته المدوية ما زالت ولا تزال ترى في خطبه .

ب ـ الدروس :

الدروس لون من التقاء الداعية بالجمهور ، وقد أنارت دروس العلماء بيوت الله منذ فجر الإسلام ، ولعل حلقات ابن عباس ، وابن مسعود ، وابن عمر ، وأبي هريرة ، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين أكبر دليل على ذلك .

---

(١) انظر : مذكرات الشيخ ابن القرية ج٢ ص ١٢٧ .

وقد سلك الدعاة الربانيون والعلماء العاملون هذا الدرب ، يعلمون الناس دينهم ودنياهم ، وقد سلك القرضاوي هذا الدرب منذ الصغر .

وقد كان إلقاؤه الدروس سابقاً لاعتلائه المنبر بسنة تقريباً ، وذلك أن أهل « صفط تراب » بل قرى مصر كلها كانوا ولايزالون يتحلقون حول مشايخهم في عصر رمضان ليستمعوا إليهم ، وكان الطالب يوسف يواظب على حضور الدروس في مسجد « المتولي » ليستمع إلى الشيخ « عبد المطلب البتة » وحدث أن تأخر الشيخ عبد المطلب فأشار أحد الحضور إلى الشيخ يوسف قائلاً : ما قولك يا شيخ يوسف تجلس مكان الشيخ وتقول لنا كلمتين مما تعلمت في الأزهر؟ فقام الشيخ وارتجل كلمة عن التوبة لاقت قبولاً حسناً لدى الحضور ، ومن يومها أصبح الشيخ يوسف هو البديل للشيخ عبد المطلب إذا تأخر أو غاب، وكان ذلك في السنة الثانية من المرحلة الابتدائية [1].

اعتاد الشيخ في هذه الفترة على إلقاء دروسه ، وكانت هذه الدروس تأخذ الطابع الوعظي ، هدفها الأول هو تثبيت الإيمان وتصحيح المفاهيم الخاطئة ، معتمداً على الرقائق و الترغيب والترهيب .

لكن الشيخ بدأ يتجه بدروسه إلى منحىً آخر ، حيث سلك بالناس مسلكاً فقهياً، يعرف الناس فيه فقه الأحكام ، وخصوصاً فقه العبادات، وعلى الأخص أحكام الصلاة ، ويبدو أن منهج الشيخ ثابت منذ الصغر فقد تميزت دروسه الفقهية من الصغر بما يلي :

١ – البعد عن الحشو والفضول وما لا حاجة للناس حقيقة به .

٢ – تبني التيسير والتخفيف عن الناس .

٣ – التحرر من التعصب لمذهب إمام بعينه .

وكان معتمد الشيخ في هذه الدروس الفقهية كتاب « فقه السنة » للشيخ سيد سابق رحمه الله تعالى .

وفوجئ الناس من الشيخ بكلام جديد لا تقيد فيه بمذهب معين ، حتى

---

(١) انظر : ابن القرية ج١ ص١٧٨ ، وخطب الشيخ القرضاوي ج٢ ص ٥ .

غدا وكان للشيخ مذهباً جديداً ، فكان أحدهم إذا خالف أهل القرية في أمر ما قيل له : صل على مذهب الشيخ يوسف ! [١]

دروسه في المعتقل :

وإذا كان أول درس للشيخ في حياته بعنوان « التوبة » ، فقد كان أول درس للشيخ في معتقل الطور تحت عنوان « لا ندم على الماضي ، ولا جزع من الحاضر ، ولا يأس من المستقبل » وقد كان هذا الدرس بطلب من العلامة الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ وقد استقبل الإخوان هذا الدرس بقبول طيب ، وأثنوا عليه ثناء حسناً ، وكان هذا أول درس عام في معتقل الطور [٢].

ولما انتظم الشيخ في الخطابة في « المحلة الكبرى » ثم في « القاهرة »؛ سن الشيخ لنفسه سنة حسنة، حيث يجعل بعد الخطبة درساً يتلقى فيه أسئلة الحضور واستفساراتهم .

وبعد سفر الشيخ إلى قطر وجد الساحة أمامه مستعدة لقبول كل خير ، فانتظم الشيخ في الدروس قبل انتظامه في الخطبة ، وكان شهر رمضان فرصة طيبة اغتنمها الشيخ وأحسن استغلالها ، فكان له في رمضان درسان الأول بعد العصر في مسجد الشيخ « خليفة بن حمد » ولي العهد آنذاك ، وآخر في صلاة التراويح، ثم استقر الشيخ في مسجد « الشيوخ » منذ ما يقرب من ثلاثين عاماً [٣].

وكانت بداية دروس الشيخ انتظاماً بمسجد الشيخ « خليفة بن حمد » حيث أرسل الشيخ القرضاوي من قبل الشيخ « عبد الله تركي »[٤] وكان الشيخ « خليفة بن حمد » يواظب على حضور هذه الدروس، وكان ترتيب الشيخ ابن تركي أن ينتقل الشيخ القرضاوي بعد مرور النصف الأول من رمضان، وقد حدث ذلك ، فسأل ولي العهد عن سبب تغيير القرضاوي . فقال ابن تركي : إنه للتنويع . فقال ولي العهد : لا أريد تنويعاً . لا أريد إلا القرضاوي[٥]. وقد كانت

---

(١) انظر : ابن القرية والكتاب ج١ ص٢٣٩ .

(٢) انظر : المرجع السابق ج١ ص٣٩٢ .

(٣) انظر : خطب الشيخ القرضاوي ج١ ص ٧ .

(٤) أحد رجالات التعليم في قطر وكان مفتشاً للعلوم الشرعية بوزارة التعليم في قطر ، وكان حريصاً على جلب مدرسي العلوم الشرعية من مصر ، وكان ابن تركي حريصاً كل الحرص على مجيء القرضاوي إلى قطر، وطلب ذلك من الأزهر .

(٥) انظر : ابن القرية والكتاب ج٢ ص ٣٦٢ .

دروس القرضاوي متنوعة منها الفقهي ومنها الوعظي ، ومنها دروس المناسبات كبدر وفتح مكة وغير ذلك .

وفي العام الدراسي ١٩٩٠ - ١٩٩١ م أعير الشيخ إلى الجزائر بطلب من الرئيس الجزائري الأسبق « الشاذلي بن جديد » ليتولى رئاسة المجلس العلمي لجامعة الأمير « عبد القادر » للعلوم الإسلامية في مدينة « قسطنطينة » ، واستغل بعض المخلصين وجود الشيخ فطلبوا منه أن يقوم بدرس أسبوعي في التفسير في أحد المساجد الكبيرة بالعاصمة ، ووقع الاختيار على سورة « يوسف » عليه السلام فوجدت السورة ترحيباً في نفس الشيخ ، واستمر عاماً كاملاً وانتهى العام الدراسي دون أن يكمل الشيخ « يوسف » سورة سيدنا « يوسف » عليه السلام .

وبعد أن استقر الشيخ في الخطابة بمسجد « عمر بن الخطاب » بقطر ، كان يعقد كل يوم اثنين درساً بعد صلاة العشاء ، وكان هذا الدرس حراً ينتقل فيه الشيخ من علم إلى علم ، فتراه تارة يكون في العقيدة ، وأخرى في الأخلاق ، وثالثة في التفسير وهكذا.

وفي العام الدراسي ١٩٩١ - ١٩٩٢م وبعد عودة الشيخ من الجزائر اقترح عليه بعض المخلصين في الدوحة أن يبدأ الشيخ دروساً تفسيرية من سورة « الرعد » ليكون إتماما لتفسير المنار للإمام المجدد « محمد رشيد رضا » ، فنزل الشيخ على رغبة إخوانه وبدأ بمقدمة سورة الرعد ، ثم شرع في التفسير حتى أتم السورة كلها، وقد قام مشكوراً الأستاذ « محمود أحمد عوض » بتفريغ هذه المادة العلمية على الورق ، ثم قام بضبطها ، والتعليق عليها وعرضها على الشيخ فنقح وأضاف، ثم خرجت بعد ذلك كتاباً هو « تفسير سورة الرعد »[١] .

ولعل أشهر دروس الشيخ هي دروسه الرمضانية التي يلقيها الشيخ في الجامع الكبير بالدوحة « مسجد الشيوخ » حيث يجلس الشيخ يومياً ما لم يحل بينه وبين الجلوس حائل ، فيختار آية من الجزء المتلو ، أو سورة بأكملها، أو جزءا بتمامه ، فيجعل الشيخ درسه هذا سياحة مباركة ، فيصول ويجول ، دون ملل أو سآمة من الجالسين ، ودون إفراط ولا تفريط في هذا العرض المبين .

وهذا ما جعل الجرائد القطرية تتسابق على تفريغ هذه المادة يومياً، فما يقال في المساء يعلن على الملأ في الصباح ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

---

(١) انظر : تفسير سورة الرعد ص ١٣ ، ١٤ .

٨ ـ البرامج الإذاعية والتلفزيونية :

لم يكن القرضاوي في يوم من الأيام بعيداً عن وسائل الإعلام ، بل هو شديد القرب منها، كثير الظهور فيها ، حتى إن بعضاً من المتطاولين على الشيخ قالوا إنه « شيخ الفضائيات العربية » وقال آخرون : إن دولاً عربية استغلت الشيخ بعد عملية السلام التي قام بها الرئيس الراحل أنور السادات ونصبته شيخاً لمصالحها السياسية !!

والحق أن الشيخ لم يسع إلى هذه القنوات أو الإذاعات ، بل هي التي سعت إليه ، وهي في المقام الأول المستفيدة أولاً من علم الشيخ ، وثانياً من شهرته بين الناس .

ولعل من نافلة القول أن أذكر هنا بأن تلفزيون قطر أسس في صيف عام ١٩٧٠م ، وكان الشيخ وقتها يقضي أجازته الصيفية في لبنان لعدم تمكنه من النزول إلى مصر، ولما افتتح التلفزيون القطري أرسل القائمون عليه إلى الشيخ في لبنان ليسجل حلقات تبث على مشاهدي القناة الجديدة ، وسجل الشيخ يومها ست حلقات ثم أرسلت إلى الدوحة [١].

وأما بالنسبة لقناة الجزيرة وبرنامجها « الشريعة والحياة » فقد سمعت الشيخ يقول لأحد زوّاره : إن هذا فتح من الله ما رتبت له ولا سعيت وراءه ، بل خير ساقه الله إليّ ، وقد عرضوا عليّ الفكرة فرحبت بها ، وقلت إنها فرصة ليصل صوتي إلى إخواني في أوربا وأمريكا .

وللشيخ بعض البرامج الإذاعية والتلفزيونية الثابتة ومنها :

١ ـ برنامج « نور وهداية » وهو برنامج إذاعي في إذاعة قطر ، وقد كلف فيه الشيخ بالرد على أسئلة المستمعين ، وقد توقف هذا البرنامج بعد سبعة عشر عاماً لكثرة مشاغل الشيخ .

٢ ـ برنامج « حديث الغروب » وهو برنامج إذاعي ، وكان يقدم في رمضان، وظل الشيخ يقدمه لمده خمس سنوات قبل أذان المغرب .

٣ ـ برنامج « هدي الإسلام » وهو حلقات تلفزيونية في تلفزيون قطر ،

---

(١) انظر : ابن القرية والكتاب ج٣ ص ٢٣٩ .

كلف الشيخ أيضاً بالرد على أسئلة المستمعين، وما زال هذا البرنامج مستمرا منذ إنشاء تلفزيون قطر منذ ما يزيد عن ثلاث وثلاثين عاماً ، وهو برنامج أسبوعي يعرض كل جمعة .

٤ ـ برنامج « الشريعة والحياة »[١] وتبثه قناة الجزيرة الفضائية ، وقد رجى المسؤولون الشيخ للمشاركة في هذا البرنامج فلم يتوان في القبول، ورأى أن هذه فرصة ليصل صوته وآراؤه إلى المسلمين في أوربا وأمريكا، فهم في نظره في أمس الحاجة إلى فقه التيسير الذي يتبناه.

٥ ـ برنامج « المنتدى » وكانت تبثه قناة أبو ظبي الفضائية ، وأوقف بعد أحداث سبتمبر، ومنع الشيخ من دخول الإمارات لظروف أشبه ما تكون سياسية.

٦ ـ كما أن للشيخ برامج تذاع بين الفينة والأخرى ، في مناسبات عديدة كان أشهرها برنامج يؤدى في عصر كل يوم من شهر رمضان في « تلفزيون قطر»، واستمر هذا البرنامج مدة طويلة ، وكان للشيخ فيه سياحة قرآنية ، يطوف بالناس في حدائق القرآن وبساتينه ، فيقطف كل يوم آية أو عدة آيات ، فيشنف آذان الناس ويشجي أسماعهم بتفسير كلام الله .

ولعل برنامجي « الشريعة والحياة » و« المنتدى » من البرامج التي تظهر مدى فقه الشيخ، وسعة أفقه، واتساع مداركه ، ورحابة صدره ، وغزارة علمه ، حيث تعرض على الشيخ الأسئلة دون إعداد سابق ، وتجهيز مسبق ، بل هي أسئلة ساعتها ، واستفسارات وقتها، فينطلق الشيخ كالسهم ، ويزأر كالأسد ، مجيباً غير متلعثم ، وموضحاً غير متردد ، مزيناً إجاباته بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والقطع الأدبية ، والأبيات الشعرية ، كأنما الشيخ يجيب من إعداد سابق أو كتاب مفتوح .

وفي الآونة الأخيرة بدأت القنوات الفضائية تتنافس على عرض مقابلات مع الشيخ ، يتحدث فيها عن حياته ومذكراته ، فقامت القناة الفضائية القطرية

---

(١) أود الإشارة هنا إلى أن فضيلة الشيخ لا يتقاضى من قناة الجزيرة ريالاً واحداً، وإنما يتبرع بالمبلغ كله لموقع إسلام أون لاين.

ببرنامج « ورثة الأنبياء » وكان أول الورثة هو القرضاوي ، واستمر البرنامج أكثر من عشر حلقات ، وهو من إعداد الأستاذ عبد العزيز السيد .

وكذلك قامت قناة « اقرأ » بعرض عدد من الحلقات سجلها مع الشيخ القرضاوي الشيخ عبد السلام البسيوني .

كما أعدت كذلك المذيعة « كريمان حمزة » برنامج مع الشيخ في قناة اقرأ الفضائية .

موقف الشيخ من التلفزيون :

التلفاز أو التلفزيون من الوسائل التي عرفها العالم مؤخراً ، وكأي جديد لم يتفق العلماء حول هذه الوسيلة ، وكان لهم فيها كذلك آراء وأقوال نجملها فيما يلي :

تعريفه : هو جهاز نقل الصور والأصوات بواسطة الأمواج الكهربية ، وقد أطلق عليه لفظ « الرائي »[1] .

أهميته :

١ ـ اجتماع أهم خصائص الوسائل السمعية والبصرية مثل :

* الامتداد الزماني والمكاني بحيث لا تخلو ساعة ولا مكان من بث .
* تنوع موضوعاته .
* سهولة الاستماع إليها والمشاهدة لها فقد ينصت إليه الشخص قائماً أو قاعداً أو أثناء الطعام وأثناء الكلام وعند النوم .

٢ ـ شدة جاذبيته للناس وخصوصاً بعد البث الملون .

٣ ـ تنوع المشاهدين له من الكبار والصغار[2] .

حكمه :

نظراً لما يعرضه التلفزيون من أمور مختلفة فقد اشتمل على ثلاثة أنواع من الوسائل :

١ ـ الوسيلة المباحة : نظراً لما يبث فيه من خير مباح .

---

(١) انظر : المعجم الوسيط مرجع سابق ص ٨٦ .

(٢) انظر : المدخل إلى علم الدعوة مرجع سابق ص ٣١٨ ، ٣١٩ بتصرف .

٢ ـ الوسيلة المشوبة : نظراً للبرامج الكثيرة التي اختلط فيها الخير بالشر .

٣ ـ الوسيلة المختلف في حكمها : نظراً لما تقوم عليه من أنواع التصوير التي اختلف العلماء في حكمها[١] .

لهذه الأمور وغيرها كان الحكم للعلماء فيها على رأيين :

١ ـ التحريم مطلقاً : بل قال أصحاب هذا الرأي بحرمة شراء الجهاز، وحرمة بيعه، وحرمة دخوله المنزل .

٢ ـ الإباحة : لمن كان في نفسه القدرة على التحكم في هذا الجهاز وضبط أسرته وأولاده ، فيجعل رقيباً على الأولاد لا من خارجهم ، ولكن من أنفسهم ، وذلك بتعريفهم الحلال والحرام .

وكان الشيخ القرضاوي من أنصار هذا الرأي ، وقد أوضح رأيه هذا في تلفزيون قطر منذ أن طلب من الشيخ أن يقدم برنامج « هدي الإسلام » أي منذ ثلاثين عاماً أو أكثر ، وسجل الشيخ رأيه هذا في فتاويه فقال حفظه الله : إن التلفزيون كالراديو وكالصحيفة وكالمجلة ، كل هذه الأشياء أدوات ووسائل لغايات ومقاصد ، لا تستطيع أن تقول : هي خير، ولا تستطيع أن تقول : هي شر . كما لا تستطيع أن تقول : إنها حلال أو إنها حرام ولكنها بحسب ما توجه إليه .. وبحسب ما تتضمنه من برامج وأشياء .. كالسيف ، ، فهو في يد المجاهد أداة من أدوات الجهاد ، وهو في يد قاطع الطريق أداة من أدوات الإجرام .. فالشيء بحسب استعماله . والوسائل دائماً حسب مقاصدها .

ممكن أن يكون التلفزيون من أعظم أدوات البناء والتعمير الفكري والروحي، والنفسي والأخلاقي والاجتماعي . والراديو والصحيفة كذلك .

وممكن أيضاً أن يكون من أعظم أدوات التخريب والإفساد ، فهذا راجع إلى نوعية ما يتضمنه من مناهج وبرامج ومؤثرات .

الذي أستطيع أن أقوله : إن هذه الأشياء فيها الخير ، وفيها الشر ، وفيها الحلال وفيها الحرام . والذي قلته من أول الأمر : إن المسلم يستطيع أن يكون فقيه

---

(١) انظر : المدخل إلى علم الدعوة مرجع سابق ص ٣٢١ بتصرف

نفسه في هذه الأمور ، فيفتح الراديو أو التلفزيون عندما يكون هناك خير ، ويغلقه عندما يكون هناك شر.

وتبقى في هذه الناحية المسئولية الكبرى على الدولة بصفة عامة وعلى المسئولين عن هذه الأجهزة الإعلامية بصفة خاصة ، فإن الله سائلهم عن كل ما تحمله هذه الأدوات للناس ، فليحضروا للسؤال من الآن جواباً ..[1]

٩ ـ المؤتمرات والندوات :

يجمع جل المتخصصين في ميدان الدعوة والعاملين لها ولا أكون مبالغاً إذا قلت كلهم بأن الشيخ متحدث لا يبارى ، ومتكلم لبق ، ومحاور ماهر ، ومن ثم فإن كثيراً من المؤتمرات والندوات لا تخلو من حضور الشيخ إلا إذا كان الشيخ قد شغل بمؤتمر آخر أو ندوة أخرى ، وحضور الشيخ عادة ما يزيد المؤتمرات والندوات إثراءً بالغاً ، وحيوية ماتعة، وهذا يرجع إلى اقتراحاته البنائة ، وآرائه الجريئة ، وفتاويه المعاصرة .

والذي ينبغي التنويه عليه: أن هذه المؤتمرات والندوات، عادة ما يطلب من الشيخ أن يقدم فيها بحثاً من البحوث أو كلمة من الكلمات ، فما تلبث الأيام إلا عن مخاض يعقبه مولود جديد يضم إلى مكتبة الشيخ ، ومن هذه الكتب :

١ ـ كتاب « شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان » شارك به الشيخ بحثاً في ندوة التشريع الإسلامي بليبيا .

٢ ـ كتاب « ثقافة الداعي » شارك به الشيخ بحثاً في المؤتمر العالمي الأول لتوجيه الدعوة و إعداد الدعاة بالمدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية .

٣ ـ كتاب « عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية » شارك به الشيخ بحثاً في المؤتمر العالمي الأول للفقه الإسلامي.

٤ ـ كتاب « دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي » شارك به الشيخ بحثاً لندوة اقتصادية إسلامية دعت إليها « مجموعة البركة » .

٥ ـ كتاب « الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة » شارك به الشيخ بحثاً في ندوة بكلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية بجامعة قطر .

---

(١) انظر : فتاوى معاصرة ج١ ص ٦٩٤ ـ ٦٩٥ .

٦ ـ كتاب « رعاية البيئة في شريعة الإسلام » شارك به الشيخ بحثاً للمؤتمر الأول للمحافظة على البيئة من منظور إسلامي بجدة بالمملكة العربية السعودية .

١٠ ـ المحاضرات :

ونظراً لشهرة الشيخ في ميدان الإلقاء مع ما تميز به من الغزارة العلمية في الفقه والدعوة ، ونظراً كذلك لما يجمعه الشيخ من قناعة في الأسلوب ، وحرارة في الأداء ، وحيوية في الإلقاء ، فقد أخذت المساجد ، والجامعات ، والجمعيات ، والمعاهد ، والأندية ، والمراكز الثقافية ، والمؤسسات العلمية ، والهيئات الخيرية في الدول العربية ، والإسلامية ، والدول الأوربية ، أخذت هذه جميعاً تتسابق على دعوة الشيخ لإلقاء المحاضرات في جنباتها ، وتحت قبابها ، وبين جدرانها ، فنعمت بالشيخ ونعم الشيخ بها .

ويندر أن تكون هناك دولة زارها الشيخ ولم يلق فيها محاضرة .

وقد جمع عدد من هذه المحاضرات وضم إلى مكتبة الشيخ ومن هذه المحاضرات :

١ ـ كتاب « الصحوة الإسلامية بين الآمال والمحاذير » ، وكان الشيخ قد افتتح بها الموسم الثقافي السابع لوزارة التربية والتعليم بقطر .

٢ ـ كتاب « التربية عند الإمام الشاطبي » ، ألقاها في المهرجان الذي أقيم للإمام الشاطبي في مدينة الجزائر عام ١٩٩١ م .

٣ ـ كتاب « السنة والبدعة » ، ألقيت بمركز الدعوة والإرشاد بقطر .

٤ ـ كتاب « الاستلحاق والتبني في الشريعة الإسلامية » ، ألقيت أيضاً بمركز الدعوة والإرشاد بقطر .

٥ ـ كتاب « الإسلام الذي ندعو إليه » ، ألقيت أيضاً بمركز الدعوة والإرشاد بقطر .

٦ ـ كتاب « لماذا الإسلام » ، وكان الشيخ قد سجلها على شريط لمؤتمر اتحاد الطلبة المسلمين السنوي في أمريكا وكندا ، بعد أن تعذر سفر الشيخ إلى هذا المؤتمر .

١١ ـ المناظرات :

لعل من نافلة القول بأن الشيخ القرضاوي مناظر جيد، ومناقش جريء[١]، وقد أحسن الإسلاميون استخدام هذا الجانب لدى الشيخ ، وقد كانت مناظرة الشيخ بالاشتراك مع الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ في المناظرة الشهيرة التي أقامتها دار الحكمة «نقابة الأطباء بالقاهرة» في عام ١٩٨٦م مع جماعة من العلمانيين دعت منهم الدكتور فرج فودة ، والدكتور وحيد رأفت ، والدكتور فؤاد زكريا ، من أشهر المناظرات ، ولم يلب الحضور سوى فؤاد زكريا ، وكانت هذه المناظرة من أكثر المناظرات انتشاراً ، ومن أعظمها أثراً .

والحق أن الشيخ كان فارس الحلبة ، وقد ساعده على ذلك أن كلمته جاءت بعد كلمة الدكتور فؤاد زكريا ، فأظهر زيفه ، وفند أباطيله ، وأبان عواره، وأتى على بنيانه من قواعده ـ وإن لم يكن له قواعد ـ فسقط في يدي الرجل ، وكأن السقف خر عليه من فوقه ، فلما أعطيت دفة الكلام ثانية للدكتور فؤاد زكريا صب جام غضبه على الشيخ يوسف ، وزعم أن الشيخ استحوذ على الجماهير بتأثيره العاطفي عليهم ، برفع صوته حيناً وخفضه حيناً آخر !!

ولكن الأمر كما قال الشيخ القرضاوي بأنه كان : في المقام الأول عقلانياً وموضوعياً ومنطقياً[٢]. وقال أيضاً : والحق أن هذا ـ تقبل الجمهور لكلام الشيخ القرضاوي وإعراضهم عن الدكتور فؤاد زكريا ـ لم يكن لضعفه ولا لقوتي ، بل لضعف الباطل الذي نصب نفسه للمحاماة عنه ، ولقوة الحق الذي أكرمني الله بالدفاع عنه[٣] .

هذا وقد دعت هذه الأباطيل الشيخ ليصدر كتاباً يرد فيه على الدكتور فؤاد زكريا خصوصاً والعلمانيين على وجه العموم، بعيداً عن التأثير العاطفي، أو اللعب بمشاعر الجماهير كما يزعم الدكتور فؤاد زكريا، يقول القرضاوي في مقدمة هذا الكتاب : «من هنا اتجه فكري إلى أن أرد على دعاوى الدكتور فؤاد زكريا خاصة، وعلى العلمانيين عامة ، في كتاب يقرأ ، لا في محاضرة تسمع ،

---

(١) يراجع ما ذكرناه من صفات الشيخ تحت عنوان «حافظ جيد ومناقش جريء».

(٢، ٣) انظر : الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه ص ١٢ ، ص ١٣ .

بعيداً عن تأثير قوة الصوت وتشجيع الجماهير ، وسيعلم الدكتور أننا دائماً أصحاب الحجة الأقوى ، والمنطق الأسد ، سواء حاضرنا أو كتبنا ، لأننا نعبر عن الحق الذي قامت به السمآوات والأرض [١].

وبعد هذه المناظرة خرج الشيخ القرضاوي بقناعة مفادها أن هذه المناظرات لا تثمر ولا تؤتي أكلها[٢] ، حيث يجلس الطرفان يقدم كل منهما حجته ، ثم ينفض الأمر ، وكل على قناعة بما لديه ، ورضى بما عنده ، غير آبه بما قال خصمه، وكانت نية الشيخ معقودة على ألا يعيد الكرة مرة ثانية ، حتى كان مايو ١٩٩٧م وفوجئ الناس بأن قناة الجزيرة القطرية تستضيف الشيخ القرضاوي ورجلاً اسمه صادق العظم وهو أيضاً من دعاة العلمانية ، وقد اعتذر الشيخ في بداية الحلقة بأنه لم يكن راضياً بالحضور ، وأنه اقترح للقناة عدداً من أسماء الإسلاميين إن أرادوا ذلك ؛ لكن الشيخ رضخ في النهاية تحت إلحاح القائمين على البرنامج، ولما عرفوا من حياء الشيخ .

وجاء الوقت المحدد للبرنامج ، وفوجئ المشاهدون بأمر لم يكن في الحسبان، فمعد البرنامج ومقدمه لم يكن بالمقدم المنصف ؛ بحيث يعطي كل واحد من المتحاورين وقتاً محدداً لا يحق للآخر أن يقاطعه فيه ، ولكن بدا أن من علا صوته، وارتفع صراخه ، كان له أن يتحدث، وتكون له الكلمة.

* * *

(١) انظر : المرجع السابق ص ١٣

(٢) قد لا تؤتي المناظرة أكلها لدى الخصم المناظر ، لكنها قد تؤتي أكلها لدى المخدوعين بهذا الخصم وكثير ما هم .